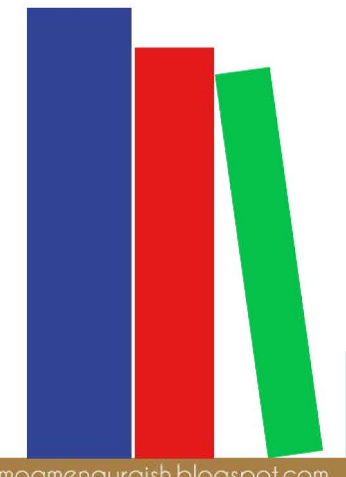
# شبهات كاهن

حاتم إسماعيل



دار المحجة البيضاء



# مكتبة
# مؤمن قريش

لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الاخرى لرجح ايمانه .

الإمام الصادق (ع)



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



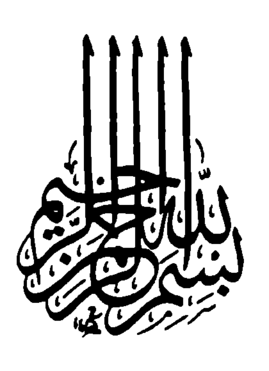
حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com




حاتم إسماعيل

دار المحجة البيضاء



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.. واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

فإن **المركز الإسلامي للدرسات** قد أخذ على عاتقه الإجابة على الأسئلة التي ترده من قبل المتشوقين إلى معرفة الحقيقة خصوصاً ما يرتبط فيها بالأمور العقائدية..

وهذه طائفة من الأسئلة العقائدية وردت من كاهن مسيحي فتمت إحالتها إلى **سماحة العلامة الشيخ حاتم إسماعيل العاملي «حفظه الله»** فتفضل بالإجابة عنها مشكوراً ومأجوراً إن شاء الله تعالى..

وقد كانت إجابته ـ ولله الحمد ـ رصينة ومتينة، وكافية ووافية..

لذلك أحببنا وتعميماً للفائدة أن نتحف القراء الكرام، فنشرناها في كتاب مستقل سائلين المولى جل وعلا أن ينفع بها عباده ويؤيد بها دينه إنه ولي قدير وبالإجابة جدير..

حرر بتاريخ ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٧ هجرية الموافق ١٧/ ٥/ ٢٠٠٦ ميلادية.

**المركز الإسلامي للدراسات**

# السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.. واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين..

السادة الأفاضل أيدكم الله وحفظكم..

**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد..**

فإن هناك أخاً لي على علاقة ببعض الكهنة المسيحيين الذين أثروا فيه أشد تأثير فتزلزلت عقائده، وصار شبه مرتد عن دينه. لكنه في الوقت عينه لا زال طالباً للحقيقة كما يعبر فيطرح الأسئلة والشبهات.. وأنا على يقين أنها أسئلة وشبهات أولئك الكهنة الذين استحوذوا على عقله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأنا بدوري لست من المتعمقين في العقائد.. رغم طمأنينتي التامة إلى ما أنا عليه من عقائد المذهب الحق والدين الحنيف. لكني لست بمستوى يؤهلني لمحاججة آخرين، وبشكل خاص إزاء بعض الشبهات ذات الطابع الكلامي أو الأخلاقي على مستوى الدين الإسلامي ككل.

وعليه فإني قاصر عن مجارات الشبهات التي يطرحها عليّ..

لست أخاف على ديني منه، ولكني واقعاً أشعر بمسؤولية نحوه إذ إني موضع ثقته وتقديره وبالتالي فالتأثير عبري ممكن لو امتلكت الحجة.

هذا إلى جانب مسؤولية دفع أذاه الفكري عن محيطه غير المتمكن من عقائده والذي قد يسقط بعضه عند أقل شبهة.

أنا هنا أحاول أن أرفع المسؤولية عن نفسي وأن أقوم بتكليفي وأن ألقي الحجة على أهل العلم الذين عليهم أن يظهروا علمهم عند ظهور البدع وتهدد الدين «**إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه**».

**بناء عليه**: سأستعرض لكم ما يطرحه من شبهات وأنتظر منكم أن تفيدوني بردود جامعة مانعة تفحم دعواه ودعوى من وراءه.. على أن تكون أفكارها ومبناها مما يسهل على العامة أمثالي وأمثاله فهمها وتدبرها والأخذ بها دون أن يضر ذلك في متانتها ولياقتها للرد على هذا النوع من الشبهات.

وأرجو أن لا يكون هناك أي استخفاف بأي شبهة لأن كلها بالنسبة لي مهمة.

**أما هذه الشبهات فهي:**

١ ـ يدَّعي: أن القرآن غير منزَّل من عند الله سبحانه، وأن هناك تناقضاً أو تضارباً بين موضوعاته وملاحظات على بلاغته ونحوه وغير ذلك من خصائص اللغة العربية الصحيحة.

٢ ـ يدَّعي: أن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» كان

شخصاً مثقفاً من الأشراف، وكان يقرأ ويكتب وبالتالي فإن إتيانه بالقرآن ليس بالشيء العجيب ولا المستغرب.

٣ ـ يدَّعي: أن الإسلام فيه مساحة كبيرة من الدعوة للعنف والقتل في حين أن المسيحية كلها بتمامها تدعو إلى المحبة والتسامح وهذا خلق كريم أكرم من القتل والقصاص الخ.. فالمسيحية تفيض بالمحبة والرحمة على الناس بخلاف الدين الإسلامي الذي تتكاثر فيه الدعوة إلى العنف.

٤ ـ إلى جانب ما تقدم: فإن الإسلام يميز بين الرجل والمرأة ويعطي الرجل حق الزواج من أربع.. هكذا دون أدنى اعتبار لكرامة وإنسانية المرأة الزوجة.

٥ ـ يدَّعي: أن المسيحية تؤمن بوحدانية الله تعالى فالأب والابن والروح القدس هم كالشمس على سبيل المثال لا يمكن تخيلها دون الكرة الملتهبة أو نواتها أو حرارتها أو نورها.. فكل ذلك الشمس ومن دون إحداها ليست بشمس.. وهكذا الإله فهو ثلاثة أقانيم بإله واحد.. (فكيف يمكن تفنيد ذلك بشكل علمي بحيث يسهل فهمه على العوام ويستحيل رده من قبل كاهن نصراني)؟.

٦ ـ أخيراً.. فإني بحاجة إلى كل ما يمكن أن يشكل نقداً للمسيحية وبشكل خاص لكتابها المقدس (الإنجيل) وإلى كل ما يمكن أن يبين ضعفها وضحالتها.. إن من خلال أفكار تقدمونها لي مأجورين بالتفصيل، أو من خلال مؤلفات ترشدونني إليها.

أجيبوني رحمكم الله، فإني في ورطة حقيقية مع المذكور وأراه يسقط دون التمكن من إنقاذه مع تهديده لدين آخرين معه.. أعتقد أن هذه من مواطن إظهار الفكر النير والحجة البالغة من قبل العلماء رفع الله مقامهم وحفظهم ذخراً لدين الله وعباده..

والله إن هذه اللحظات من أشد اللحظات التي أشعر فيها بيتمنا، وفقدنا لأهل البيت صلوات الله تعالى عليهم.. فهم كانوا ملجأ أهل زمانهم ونحن إمامنا غائب فأين ورثة العلماء الأنبياء؟

لا أتهم العلماء بالتقصير.. لكن أتهم نفسي بالبعد عنهم، واستفز علمهم أعلى الله مقاماتهم وسدد خطاهم.

أنتظر جوابكم بفارغ الصبر مأجورين..

والسلام عليكم.

# الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..**

**وبعد..**

فإن المسيحين ـ ومع الأسف الشديد ـ رغم الإعلان الذي صدر من الفاتيكان في مجمعه الثاني بتاريخ ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٦٥م حيث أظهر هذا الإعلان إحترام الكنيسة وتقديرها للمسلمين، الذين يعبدون الله الأحد..

**إلى أن يقول:** «ولئن كانت قد وقعت خلال القرون، خصومات وعداوات بين المسلمين والمسيحيين غير قليلة، فإن المجمع المقدس يدعو الجميع إلى إطراح الماضي جانباً وإلى السعي بإخلاص لإيجاد تفاهم، والعمل معاً على حماية وتنمية العدالة الإجتماعية، والخيرات الأخلاقية، وكذلك السلام والحرية للناس كافة».

وقام عدد غير قليل من الرهبان والكهنة بالدعاية والإعلان لما يسمى

بالدعوة إلى «**الحوار بين الإسلام والمسيحية**»، في إثر هذا الإعلان، الأمر الذي بدا في الوهلة الأولى وكأنه بادرة حسن نية من قبلهم، فيما يمكن أن يكون انسجاماً بين النظرية والتطبيق.

**إلا أننا ـ وبكل أسف ـ نجد**: هذا الإعلان والدعوة التي تبعته لم يكونا أكثر من بوق إعلامي فار من أي محتوى سوى زرع الفرقة وبذر الحقد والضغينة ضد المسلمين، مغلفة بناعم الملمس، حتى يبدو جلياً للمتابع أن دعواهم هذه مجرد دعوة لخداع المسلمين وتخديرهم، وبالتالي، إطلاق العنان لأتباعهم كي يفسدوا على المسلمين عقائدهم، بكل ما أوتوا من وسائل تضليل وافتراء، وإلا فبأي شيء يمكن تفسير الحملات المسعورة التي أطلقوها في كل جانب، من خلال كتب ينشرونها، ومحطات تلفزة، فضائية، ومجلات يصدرونها وغيرها، والتي ليس لها غاية سوى مهاجمة المسلمين، هذه الحملات التي كانت إلى وقت قريب تتستر وراء أقنعة المكر والحيلة، لتبث السم في الدسم، لكنها اخيراً أسفرت عن وجهها القبيح بغية حمل المسلمين على الإرتداد عن دينهم!

فهل هذا مقتضى الحوار بين الأديان الذي يتشدقون به، أم أنهم يريدون بالحوار بث أباطيلهم دون جواب من الطرف الآخر؟ حتى إذا واجههم أحد من المسلمين قامت القيامة ولم تقعد مدَّعين أن الإسلام يهاجم المسيحية!

**والواقع**: أن هذه المغالطات والأكاذيب المنتشرة في هذه الأيام بين

دعاة «**المحبة**»!! بما تتضمنه من تهجمات على القرآن الكريم والإسلام ونبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله» لم تكن الأولى، ولن تكون الأخيرة أيضاً.

فمن ضمن رسائل «**المحبة**» هذه رسالة على شبكة الإنترنت معنونة بعنوان: «**شبهات كاهن**» ومؤرخة بتاريخ ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٤م.

وقد ورد في هذه الرسالة عدد من الإشكالات مرقمة بستة عناوين وكل عنوان منها مشتمل على أكثر من موضوع، بغية التأثير على بعض المسلمين.

**يقول الكاتب**: إن بعض الكهنة قد أثر فعلاً على بعض المسلمين.

ونحن بدورنا سوف نستعرض هذه الشبهات، ونقوم بتفنيدها بمقدار ما يسمح به المجال والوقت، ولنظهر وجه المغالطة فيها والكذب والافتراء، الذي لم يتورع دعاة «**المحبة**» عن بثه بين الناس، في محاولة مكشوفة ومفضوحة لتدعيم مزخرفاتهم وأباطيلهم، محاولين طمس الحق ونشر الباطل.

**فنقول**:

١ ـ قد ورد في الرسالة الإشكال المرقم بـ (١): «أن القرآن غير منزل من عند الله سبحانه، وأن هناك تناقضاً أو تضارباً بين موضوعاته، وملاحظات على بلاغته ونحوه وغير ذلك من خصائص اللغة العربية الصحيحة».

**أقول**:

# القرآن وحي إلهي

**أما قوله:** «إنه غير منزل من عند الله تعالى» فإن من الطبيعي أن يدَّعي من لا يؤمن بدين الإسلام بأن القرآن الكريم غير منزل من الله تعالى، بل لا يتوقع منه غير ذلك، لأنه لو أقر بوحي القرآن وبنبوة نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله» للزمه أن يكون مسلماً، هذا إن كان باحثاً عن الحقيقة والخلاص حقاً، وهذا ما لا يريد أي مخالف للإسلام أن يعترف به فعلاً.

إن مسألة إثبات كون

القرآن الكريم منزلاً من عند الله تعالى، بل إثبات أي كتاب من الكتب السماوية، بل إثبات أي موضوع تاريخي أو معرفي، سواء كان مرتبطاً بتاريخ أمة من الأمم، أو شخص من الأشخاص أو غير ذلك، لابد أن يعتمد على أسس وقواعد معرفية، قابلة للإيصال إلى الغاية المنشودة، إذ منها ما يتوصل إليه بالعيان والمشاهدة، وبواسطة الحواس، ومنها ما لا سبيل إلى إدراكه بالحواس، إما لقصورها عن ميدانه، أو لوجود فاصل زمني بين ما يبحث عنه وبين الشخص الباحث، ولابد في هذه الحالة من البحث عبر طريق آخر، وليس ذلك سوى العقل.

**أما المعرفة الحسية:** فإما أن تحصل من خلال المعاينة والمشاهدة والاختبار الحسي، بمعنى أن يكون موضوع المعرفة، وهو الوحي الإلهي في المقام، نازلاً على نفس الشخص العارف، فيحصل له اليقين بما ينزل عليه، أو بواسطة حضوره ومشاهدته للنبي «صلى الله عليه وآله»، وإطلاعه على

أحواله قبل الوحي وبعده، أو بواسطة الثقات ممن عاينوا وشاهدوا بأنفسهم، وهؤلاء لابد أن يكونوا من أهل المعرفة بالموضوع محل الإثبات، إذ لو لم يكونوا واعين لما يحدث أمامهم فمن المحتمل في هذه الحال، أن يقعوا ضحية جهلهم.

**وفي هذه الحال ـ حال نقل الثقات العارفين ـ :**

**تارة:** يكون الناقلون قلة، بحيث يحتمل أن يكونوا قد اتفقوا على الموضوع مع صاحب الدعوى، بحثاً عن مقام يتوخونه، أو مصلحة يرجونها، وفي مثل هذه الحال يبقى الموضوع محل شك وشبهة، ولا يحصل اليقين والجزم بصدقه. وقد يزداد عددهم إلى حد يحصل الاطمئنان بصدقهم، وعدم تواطئهم على الكذب.

**وتارة:** يبلغ عددهم حداً يستحيل معه عادة تصور صدور الكذب منهم في نقلهم، وهو ما يسمى بـ «**التواتر**» الأمر الذي يؤدي إلى حصول اليقين عند الباحث بعدم الكذب أو الخطأ في ما نقلوه. أي يحصل له اليقين بصدق الدعوى.

**وما عدا هذين الطريقين:** لا يعدو أن يكون من باب الحدس والتخمين، وهو لا يوصل إلى حقيقة، ولا يرفع جهلاً، ولا يغني في معرفة.

**ومن الظاهر الذي لا جدال فيه:** أن القرآن الكريم قد وصل إلينا عن طريق التواتر، فقد توارثه المسلمون عبر الأجيال كما هو يداً بيد، دون أي تغيير أو تبديل من زمن النبي «صلى الله عليه وآله» وإلى يوم الناس هذا،

وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١].

**وهذه الخاصية مفقودة في الكتاب المقدس بعهديه:** «القديم» و«الجديد» فإن ما لا إشكال فيه بين الباحثين في الكتاب المقدس وعلماء اللاهوت: أن مؤلفي أسفار الكتاب المقدس غير معروفين، لا بأشخاصهم ولا بمقاماتهم، ولا حتى بأزمنتهم، ومعنى هذا: أن العهدين غير معلومي المصدر والمنشأ، ومعه كيف يمكن الإدعاء بأن الديانة المسيحية ـ وهي تستند في اعتبارها إليهما ـ ديانة سماوية؟ هذا أولاً.

**وثانياً:** إن العهد الجديد عموماً مكتوب بتأثير العقائد البوليسية، فإن رسائل بولس هي التي تشكل الركيزة للمسيحية، في مختلف ميادينها، وهي التي أدخلت أولاً في القانون الكتابي، وصارت جزءاً من الكتاب عندهم.

**وأما الأناجيل الأربعة:** فرغم أن مؤلفيها غير معروفين بالتفصيل، ورغم أن الكثير من الباحثين المسيحيين يرون أنها كتبت تحت تأثير بولس نفسه، فإنها لم تدخل في القانون حتى فترة متأخرة امتدت قروناً بعد المسيح «عليه السلام».

**ومن المعلوم تاريخياً:** أن بولس لم يلتق بالسيد المسيح «عليه السلام»، ولم يؤمن به طيلة وجوده بين الناس، بل كان خصماً عنيداً، وعدواً لدوداً له

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٩ من سورة الحجرات.

ولأتباعه، وشارك في قتل بعضهم وتعذيب آخرين منهم، حتى سنة ٣٥ للميلاد، أي بعد ارتفاع السيد المسيح «عليه السلام» بحوالي خمس سنوات، وذلك أنه كان في طريقه من أورشليم إلى دمشق، إذ ادَّعى أنه تجلى له السيد المسيح «عليه السلام»، وطلب منه أن يصير رسولاً له، والتمس منه أن لا يضطهد الكنيسة والمسيحيين، وهكذا صار بولس رسولاً للمسيح.

**ولقد اعترف بولس نفسه:** بأنه لم يأخذ تعاليمه من تلاميذ المسيح «عليه السلام» الذين رأوه وعاشوا معه، بل لم يجلس معهم ولا تعرف إليهم إلا بعدما بشر بالدعوة التي اعتنقها وركز دعائمها بنفسه، مدة خمس عشرة سنة بين الأمم[1].

فما دام لم يأخذ العلم والدين من المسيح «عليه السلام» ولا من تلاميذه، فإن تعليمه سيكون ـ في أحسن الحالات ـ مستنداً إلى الحدس والتخمين، إن لم نقل بأنه أراد محاربة المسيحية من الداخل بعدما عجز عن القضاء عليها من الخارج، وبالتالي فلا يمكن القول بأن تعاليمه هي تعاليم المسيح «عليه السلام».

**بل إننا مع الأسف الشديد:** نجد في نفس كلام بولس، ما يؤيد احتمال أن يكون مراده التخريب، حيث اعترف صراحة بذلك قائلاً: «أنا

---

(١) الرسالة إلى غلاطية ١/ ١٦ ـ ٢٠.

الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً»[١].

**ولا يصح الاعتذار عنه**: بأن اعترافه هذا ناظر إلى ما قبل إيمانه بالمسيح «عليه السلام»؛ لأن من يكذب على رسل الله مرة، لا يؤمَن أن يكذب دائماً.

**هذا بالإضافة**: إلى أنه بعد اهتدائه إلى المسيحية بزمن، وبعد عودته إلى أورشليم، حصلت مناوشة بينه وبين حنانيا رئيس الكهنة، ثم اعتذر قائلاً:

«لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة؛ لأنه مكتوب رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً».

**ويستمر قائلاً**: «أيها الرجال الإخوة: أنا فريسي ابن فريسي. على رجاء قيامة الأموات، أنا أحاكم ..

فحدث صياح عظيم، ونهض كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين لسنا نجد شيئاً ردياً في هذا الإنسان. وإن كان روح أو ملاك قد كلمه فلا نحاربن الله»[٢].

**وهو كلام صريح منه ومن الفريسيين**: أنه لم يغير شيئاً من عقائده، وأنه لا زال على قوانين الناموس، خلافاً لما كان يبثه بين المسيحيين من إبطال الناموس. وإلا فلو كان قد ظهر لهم أنه من أتباع المسيح «عليه

---

(١) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ١/ ١٣.

(٢) أعمال الرسل: ٢٣/ ٢ ـ ٩.

السلام» حقاً، فلا يمكن أن يدافعوا عنه بهذه القوة والإصرار، وهم يكنون أكبر العداء وأشد الحقد للسيد المسيح «عليه السلام» ولأتباعه.

**ولو فرض قبول توبته فعلاً:** فإنه من غير الطبيعي أن يصل إلى مقام الرسولية، ويصير مقدماً على أقرب المقربين من السيد المسيح «عليه السلام»، فضلاً عن أن يصير بيضة القبان في الدعوة الجديدة دونهم، مع أن المدائح التي انهالت عليهم من السيد المسيح «عليه السلام» وبحسب الأناجيل نفسها لم تشمل بولس أبداً.

وعليه، فالمقارنة والمقايسة بين الإسلام والمسيحية في غير محلها، إذ المسيحية الموجودة فعلاً ليس لها أساس معرفي تاريخي يمكن أن يطمأن إليه، لعدم اتصالها المباشر بصاحب الدعوة، وهو السيد المسيح «عليه السلام» حسب الفرض اتصالاً حسياً.

**أما بالنسبة إلى القرآن الكريم، فقد أشرنا:** إلى أنه وصل إلينا بطريق التواتر منذ صدع به النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، دون أن يناله أي تغيير أو تبديل.

**وبعبارة أخرى:** إن ما جاء به نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله» معلوم وحاضر، بخلاف ما جاء به المسيح «عليه السلام»، فإنه غير معلوم الحقيقة والهوية، ولعدم وصوله إلينا كما جاء به صاحب الدعوة «عليه السلام».

ومعه لا بد من البحث في القرآن الكريم نفسه لإثبات ما إذا كان وحياً من عند الله تعالى أو لم يكن، بخلاف المسيحية التي أغلقت دونها جميع

أبواب الإثبات، فلا يصح الاستناد إليها على كل حال.

إن جهات الإعجاز في القرآن الكريم، التي تثبت نزوله من عند الله تعالى على رسوله الأعظم «صلى الله عليه وآله» أكثر من أن تحصى، لأنه المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء «عليهم السلام» التي وصلت إلينا دون تحريف أو تلاعب كما أشرنا، وهوبالتالي دليل الإثبات الوحيد الذي يمكن التعامل معه بالحس والمشاهدة، وأما غيره من المعجزات سواء أكانت كتب وحي أو غيرها فهي فاقدة لهذه الخاصية، إذ ليس بين أيدينا أي شيء منها سوى الأخبار والروايات، وهذا ما لا يختلف فيه اثنان من العقلاء.

إن القرآن الكريم معجزة لجميع الناس قديمهم وحديثهم، وسابقهم ولاحقهم، وهذا ما ترمي إليه الآية الكريمة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١].

فإن قوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ دليل على أنهم لا يقدرون على الإتيان بمثله أبداً، مما يعني أن عجزهم دائم، وفي جميع الأزمان.

ولما كان لكل زمان نهضته العلمية، ووعيه وحضارته التي يمتاز بها عن غيره من الأزمنة، فلابد أن يكون الإعجاز المفترض مساوقاً ومنسجماً

---

(١) الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة البقرة.

مع هذه الحضارة وتلك النهضة، أي لابد وأن يكون معجزاً لكل زمان في نفس الجهة التي امتاز بها ذلك الزمان.

فقد يكون معجزاً من حيث الفصاحة والبلاغة في عصر وبين قوم كانت الفصاحة والبلاغة قمة علومهم وإبداعاتهم، لأن المفروض: أن إبداعهم كان في هذا الباب من العلم ليكون حجة عليهم فيه.

ولكنه في زمان آخر أو في أمة أخرى، لابد أن يتحداهم من جهة إبداعهم المستجد لهم، ولا يلزم انحصار تحديه من جهة البلاغة؛ لأنهم إن لم يكن لهم إبداع في وجوه البلاغة، أو لم يعرفوا اللغة العربية أصلاً، لا يشكل تحدياً لهم في هذه الحالة، ولهذا كان إعجازه قائماً بين العرب الذين لم يستطيعوا أن يأتوا بمثله في البلاغة، وأقروا بعجزهم أمامه، رغم المحاولات المضنية التي قام بها المعاندون، وحدثنا التاريخ عنها.

**هذا، إذا أريد بالبلاغة:** فن صناعة الكلمة وتركيبها، مع غض النظر عن المعنى الإصطلاحي للبلاغة، وهو الفن الذي أبدع العرب فيه جداً، أثناء عصر النبي «صلى الله عليه وآله» مع أنه يمكن القول: بأن إعجازه البلاغي سار في كل زمان ومكان، وعند كل قوم مهما كانت لغتهم، فقد عرف العلماء البلاغة ـ بالمعنى الإصطلاحي ـ: بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أو مطابقته للاعتبار المناسب، وهذا جار في كل زمان ومكان كما أشرنا، فما دام كذلك كان الكلام متصفاً بالبلاغة إذا كانت كلماته فصيحة، وسليمة من الإختلالات اللغوية، سواء في بنيتها أو في تركيبها.

**مع أنه يمكن أن يقال**: بأن ثبوت إعجازه عند العارفين باللغة والبلاغة في كل عصر، كاف لإلقاء الحجة على جميع أبناء ذلك العصر، وليس المطلوب أن يعرف جميع الناس وجوه البلاغة، بل يرجع إلى الخبراء في ذلك الفن، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثل بلاغته، كان ذلك حجة على الجميع.

وعليه فإن إشكال المستشكل في بلاغة القرآن الكريم دليل على عدم معرفته بالبلاغة ولا باللغة، وعلى عدم تواضعه قليلاً، ورجوعه إلى أهل الخبرة فيها، ليهدوه إلى دقائقها وقواعدها.

**وعلى كل حال**: ففي زماننا هذا، حيث النهضة العلمية الهائلة، والإكتشافات المثيرة والمذهلة، لابد من ملاحظة هذا الجانب من جوانب الحضارة الإنسانية، لنرى ما إذا كانت مصدقة للإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم أو لا، وفي هذا المجال نجد: أن الكثير من العلماء في مختلف ميادين العلوم، من المسلمين وغيرهم، قد كتبوا الكثير في إثبات الحقائق القرآنية ومطابقة العلم لها.

**ومن الواضح**: أن السبق العلمي في الإخبار القرآني قبل بضعة عشر قرناً من الإكتشافات يدخل في باب الإعجاز والإخبار بالغيب، حيث لم يكن يدور في خلد إنسان، ولا طرق باب مخيلته ما يمكن أن يؤول إليه مستقبل العلوم في هذه الحياة، وكفى بهذا الإنباء بالغيب إعجازاً، وهنا لابد من القول بأنه يكفي إثبات إعجازه في الجانب المحدد إجمالاً، إذ ليس القرآن

كتاب علم ونظريات وإنما المراد بيان الحقائق العلمية، بما يتناسب مع طبيعته ككتاب هداية، فإذا ثبت إخباره عن حقيقة غيبية سبقت عصرها كفى ذلك في ثبوت إعجازه في زمان آخر، وكمثال على ذلك نقول:

لقد ورد في القرآن الكريم، قوله تعالى: **﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾**[١].

**وهذه مسألة:** لم تكن تخطر على بال أحد في عصره «صلى الله عليه وآله» ثم ثبت بعد عدة قرون (عشرة مثلاً) بالدليل العلمي القاطع صحة الآية، دل ذلك على أنه نزل من عند الله تعالى حتى عند المتأخرين قروناً عن إثبات النظرية علمياً.

وحيث إن المجال لا يتسع للحديث عن هذا النوع من المسائل، فإنني سأكتفي بالإشارة إلى قضية تدخل في مجال الإعجاز والإخبار بالغيب، وتناسب المقام، حيث الكلام في مقارنة الأديان وكتب الوحي الإلهي، إن صح هذا التعبير، وهي: الحديث عن تحريف الكتاب المقدس والتلاعب فيه، فقد ورد في عدد من الآيات الشريفة في القرآن الكريم، حديث عن تحريف أهل الكتاب ـ اليهود والمسيحيين ـ كتابهم وتلاعبهم به زيادة ونقيصة، مثل قوله تعالى:

**﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ،**

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٤٧ من سورة الذاريات.

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ الله لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[١].

هذا.. في الوقت الذي كان عامة المسيحيين واليهود لا يقرون بهذه الحقيقة، بل ظلوا يقولون:

إن التوراة قد كتبها موسى «عليه السلام» وظل هذا الإعتقاد سائداً بين علمائهم حتى القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) عندما شكك كاتب بروتستنتي اسمه «**كاستردت**» في صحة نسبة التوراة إلى موسى «عليه السلام» فتساءل كيف استطاع موسى أن يكتب قصة وفاته، وتتالت بعده الشكوك والإشكالات من رجال الكنيسة وغيرهم[٢].

هذا بالنسبة إلى التوراة والعهد القديم عموماً، وأما بالنسبة إلى العهد الجديد، فيكفي أن ننقل ما كتبه الآباء اليسوعيون في مقدمتهم على العهد الجديد، وهو :

«إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة، بل يمكن للمرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية، ولكن عددها كثير جداً.

**على كل حال**: هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد

---

(١) الآيتان ٧٨ و ٧٩ من سورة البقرة.

(٢) راجع: المدخل إلى الكتاب المقدس ج٢ ص١٥.

الصرف أو النحو أو الألفاظ أو ترتيب الكلام، ولكن هناك فوارق أخرى بين المخطوطات تتناول معنى فقرات برمتها.

واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير، فإن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي يحول دون أن تتصف أية نسخة كانت، مهما بذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه.

**يضاف إلى ذلك**: أن بعض النساخ حاولوا أحياناً، عن حسن نية، أن يصوبوا ما جاء في مثالهم وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي.

وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ، ثم يمكن أن يضاف إلى ذلك كله أن الإستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في أثناء إقامة شعائر العبادة أدى أحياناً كثيرة إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس، أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليها التلاوة بصوت عال.

**ومن الواضح**: أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات.

**والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص**: هو أن يمحص

هذه الوثائق المختلفة لكي يقيم نصاً يكون أقرب ما يمكن من الأصل الأول، ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه»[١].

**ونلاحظ في هذا النص عدة أمور جلية:**

١ ـ إنه اعتراف صريح بالتبديل والتحريف في مضامينه ومعانيه.

٢ ـ إن النساخ الذين بدلوا فيه قد أعملوا آراءهم واجتهاداتهم تبعاً لمستوياتهم الثقافية وخلفياتهم الفكرية.

٣ ـ إنه نتيجة لهذا التلاعب سواء كان حاصلاً عن حسن نية منهم أو لم يكن، فإن من غير الممكن الوصول إلى النسخ الأولى للعهد الجديد بأي حال من الأحوال.

**ومعنى ذلك:** أن من غير الممكن معرفة ما كان من المسيح «عليه السلام» أو منهم، فيسري الشك إلى جميع مضامينه، فيسقط عن الإعتبار، ولا يصح التمسك به والإستناد إليه في مقام إثبات أي قضية من قضاياه.

وهذا تصديق كامل، باعترافهم الظاهر للآية القرآنية الكريمة التي ذكرناها، وكذلك غيرها من الآيات، وهي حقيقة لم يرد المسيحيون الإقرار بها حتى بدايات القرن العشرين، بل كانوا يعتبرون أن العهد الجديد كله وحي من الله تعالى إلى أصحابها، وبالتالي فهو يشكل دليلاً صارخاً على خطأ

---

(١) مدخل إلى العهد الجديد ١٢ ـ ١٣.

بولس، الذي يقول: «كل الكتاب هو موحى به من الله»[١].

إن هذه النبوءة القرآنية وحدها كافية في إثبات أن القرآن منزل من عند الله تعالى، حيث بيَّن قبل ما يزيد على عشرة قرون أنهم تلاعبوا بالكتاب المقدس، «كتبوه بأيديهم، ثم قالوا هو من عند الله» لو كانوا يعقلون.

فإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة حقيقة أخرى، وهي أن المسيحيين لم يفكروا في إنشاء عهد جديد مقدس حتى سنة ١٥٠ ميلادية. «ولم تكن غاياتهم قط أن يؤلفوا ملحقاً بالكتاب المقدس، بل كانوا يدعون الأحداث توجههم»[٢]

تبين أن ما يسمى بالعهد الجديد غير مرتبط من ناحية الإثبات الزمني بالسيد المسيح «عليه السلام» ولا بتلاميذه، ومعه كيف يمكن القول بأن المسيحية دين سماوي، أو أن العهد الجديد ينتسب إلى السيد المسيح «عليه السلام»؟!.

**يضاف إلى كل ذلك**: أن الأناجيل والأسفار كانت أكثر مما هو مرقوم في العهد الجديد القانوني بكثير، فإن الأناجيل وحدها كانت تزيد على أربعين إنجيلاً، كانت متداولة ومشهورة بين الناس إلى ما بعد انعقاد مجمع نيقيا سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر من الأمبرطور الروماني قسطنطين، الذي كان وثنياً وتنصر قبل ذلك بحوالي عشر سنين وفرض الديانة المسيحية على

---

(١) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس ٣/ ١٦.

(٢) مدخل إلى العهد الجديد ص٨.

أمبرطوريته بالقوة.

فقد قرر الأساقفة المجتمعون اعتبار الأناجيل الأربعة المتداولة (متى، مرقس، لوقا، ويوحنا) والتزام قداستها وقانونيتها، ومنع كل ما عداها من الأناجيل الأخرى وإلغائها من الوجود، وملاحقة كل من يعمل بها، أو يستند إليها، مما حرم الإنسانية الكثير من الحقائق المرتبطة بالديانة المسيحية، والتي ربما كانت غيرت هذه الديانة من أساسها.

**ولابد من الإشارة هنا:** إلى أن مجمع نيقيا لم يستطع أن يقضي على هذه الأناجيل قضاءً تاماً.

**إذ يحدثنا التاريخ:** أن البابا جيلاسيس الأول الذي تربع على عرش البابوية سنة ٤٩٢ وحتى سنة ٤٩٦ ميلادية، قد أصدر أمراً يحظر فيه مطالعة عدد من الأناجيل مما يعني أنه حتى تلك الفترة كانت هذه الكتب منتشرة انتشاراً واسعاً، مما اضطر البابا إلى أن يصدر مثل هذا التحريم.

**إن من المعلوم تاريخياً:** أن مجمع نيقيا قد انعقد بأمر من قسطنطين الذي أراد أن ينصر عقيدة التثليث، التي كانت تتناغم مع عقائده الماضية، وبعدما أخافته حركة آريوس أسقف الإسكندرية التوحيدية، والتي اعتبرت السيد المسيح «عليه السلام» عبداً من عباد الله تعالى.

بحيث أثرت على الكثير من الرهبان والناس الذين كان يلقي مواعظه عليهم، ويفند فيها مقولات التثليثين، فجمع قسطنطين حوالي ٣١٨ أسقفاً وانقسموا إلى ثلاث طوائف، وبعد جدل طويل، وخلاف عميق، سيطر

أصحاب التثليث على أصحاب آريوس بالضغط والترهيب، وعندها أقرت عقائد المسيحيين وحوصر الآريوسيون وألقيت عليهم الحرم الكنسية(١).

**والحاصل**: إن المسيحية المتداولة ليست مسيحية السيد المسيح «عليه السلام» ولا هي دعوة تلاميذه وحوارييه، وإنما هي المسيحية كما يراها بولس، بل إن اسم المسيحية على الدين الجديد هي من إطلاق بولس(٢) نفسه، وإلا فإن السيد المسيح «عليه السلام» لم يشر من قريب أو بعيد إلى مثل ذلك، بحسب الإنجيل نفسه، وصدَّقه القرآن الكريم في هذه النقطة إجمالاً، بل الثابت عنه: أنه جاء مصدقاً لتعاليم التوراة والعهد القديم، ملتزماً أوامره ونواهيه، حتى قال لأصحابه:

«لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل»(٣).

بل إن رسائل بولس وتعاليمه قد دخلت في قانون الإيمان المسيحي قبل جميع الأناجيل وسائر الرسائل، بل إن هذه الأناجيل والرسائل قد ظلت

---

(١) راجع على سبيل المثال: تاريخ الفكر المسيحي، القس حنا الخضري ج١ ص٦١٧ وما بعدها، وقد تعرض لهذه القصة مختلف المصادر المسيحية و التاريخية.

(٢) أعمال الرسل: ١١/ ٢٦.

(٣) إنجيل متى: ٥/ ١٧ ـ ١٨.

قروناً طويلة بين أخذ ورد، وقبول ورفض.

**وتقدم معنا:** أن بولس لم ير المسيح «عليه السلام»، ولم يؤمن به أثناء وجوده ودعوته، ولا أخذ عن تلاميذه بعده.

**وما يهمنا هنا:** أن هذه المسألة والنبوءة تشكل دليلاً حاسماً على صحة القرآن الكريم، وصدق ما أخبر به، وإثبات أنه وحي إلهي، إذ هو كشف أمراً واقعياً لم يعترف به علماء الكتاب المقدس إلا بعد نزول القرآن الكريم بقرون عديدة.

**بل يمكن القول:** إن اتباع القرآن الكريم والنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أولى من اتباع الكنيسة حتى من وجهة نظر المسيحيين أنفسهم، ذلك أنهم يرون: أن الكنيسة مقدسة ويجب اتباعها؛ لأنها معصومة بالمسيح «عليه السلام»، فما دام القرآن الكريم قد كشف خطأها وعدم صدقها في أمر محسوس واقع بين يديها، وظلت كذلك هذه المدة الطويلة من الزمان، حتى أقرت أخيراً بصحة ما ورد فيه، دل ذلك على أنه أولى بالاتباع.

**وسيأتي في طيات البحث:** أن الكنيسة كثيراً ما أخطأت في التاريخ مما يدل على عدم ارتباطها بالوحي الإلهي، ولا تتمتع بالقداسة والاعتبار، خلافاً لما يحاول المسيحيون أن يضفوه عليها.

**يضاف إلى ذلك كله:** الحقائق العلمية الكثيرة، التي أشار إليها القرآن الكريم، وظهرت صحتها في القرن العشرين أو قبله بقليل، وقد كتب حولها الكثير من الكتب فلتراجع.

## هل في القرآن من تناقض؟!

**قال:** «إن هناك تناقضاً أو تضارباً بين موضوعاته».

**أقول:** إن منشأ هذه الشبهة هو الجهل وعدم التدبر والتعقل لآيات القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾(١).

وكما قال تعال: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾(٢).

ويمكن أن لا تكون ناشئة من الجهل، بل من محاولة إخفاء الحقيقة، والتأثير على بسطاء الناس، بغية الحفاظ على مصالح آنية، أو تعنتاً وإظهاراً لحقد دفين، أو ما أشبه ذلك، كما قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾(٣).

**إن من الواضح:** أنه ليس كل منكر لا يعلم الحق الذي ينكره، وهم كثيرون.

وأما احتمال أن يكون الجهل وعدم التدبر منشأً للإنكار، فلأن التناقض والتضارب معناه: التكاذب بين القضايا، أي أن كل قضية تكذب الأخرى وبالعكس، سواء كانت إحداهما تثبت أمراً والأخرى تنفيه وهو

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٨٢ من سورة النساء.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢٤ من سورة محمد.

(٣) القرآن الكريم، الآية ٢٦ من سورة فصلت.

التناقض، أو كانت كل واحدة تثبت وصفاً مغايراً ومعانداً لما تثبته الأخرى وهو التضاد والتضارب.

فلابد من ملاحظة متعلقات هذه القضايا، فهي إما أن تكون حاكية عن واقعة معينة، أو تبين حقيقة موضوعية ما، وإما أن تكون في مقام بيان حكم من الأحكام أو إنشاء قانون من القوانين.

**ويحسن هنا**: بيان معنى التناقض بين القضايا وشروطه، لنتبين حال القسم الأول من القضايا:

فقد ذكر علماء المنطق شروطاً ثمانية ليتحقق التناقض والتكاذب بين القضيتين المتنافيتين، وأطلقوا عليها اسم «**الوحدات الثماني**»، وهذه الوحدات هي:

١ ـ وحدة الموضوع.

٢ ـ وحدة المحمول.

٣ ـ وحدة الزمان.

٤ ـ وحدة المكان.

٥ ـ وحدة القوة والفعل.

٦ ـ وحدة الكل والجزء.

٧ ـ وحدة الشرط.

٨ ـ وحدة الإضافة.

أي أن كلاً من القضيتين المتنافيتين لابد وأن تكون ناظرة إلى موضوع واحد في زمان واحد الخ.. على أن تكون إحداهما مثبتة للحكم والأخرى نافية له. وهذا ما لا يمكن وقوعه في القرآن الكريم، وإلا فليدلنا هذا الكاهن أو غيره على مورد من موارد التناقض المزعومة.

وكيف يتصور ذلك وأعداء الإسلام منذ بعثة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» وإلى يوم الناس هذا يسعون جاهدين إلى أن يثبتوا أي اختلاف فيما تحدث عنه القرآن الكريم ولم يفلحوا.

إن كشف التناقض المزعوم، لو كان، لكان هو أيسر السبل وأسهلها على المنكرين المغرضين، وأشدها فتكاً في الإسلام ورسوله، لأن المتناقضين يستحيل اجتماعهما ببديهة العقل، وهو ما يستوي في إدراكه ورفضه كل إنسان سليم العقل والحواس.

**هذا.. إذا كان المقصود**: التناقض في الحكاية عن الحقائق الراهنة، أو عن قيودها، أو أوصافها الخ.. وأما إذا كان المقصود هو التناقض في الأحكام والقوانين التي جاء بها الإسلام فإن الجهل وقلة التدبر يكون أوضح؛ لأن افتراض التناقض فيها غير متصور، وذلك لأن الأحكام والقوانين أمور اعتبارية يراد منها تنظيم حياة الناس، وليست حاكية عن أمور واقعية، يمكن أن تتصف بالصدق والكذب.

**وما يمكن افتراض التناقض والتضارب فيه منها**: هو الناحية العملية، التي تستلزم أن يفعل المرء مثلاً ولا يفعل في نفس الوقت، كما إذا

قال: إن الشيء الفلاني يحرم فعله (ممنوع)، وهو نفسه مباح فعله (ممكن)، أو يجب فعله، وهذا غير موجود في القرآن الكريم، بل لا يتصور وجوده لنفس السبب المتقدم.

**نعم**.. هناك بعض الأحكام أو القضايا قد يتوهم البسطاء والسذج، من الناس وجود تناقض بينها من الناحية العملية، وأما العقلاء والعارفون ـ مسلمين كانوا أم غير مسلمين ـ فإنهم يدركون خطأ هذا الزعم والوهم، عند أدنى التفات، وبيان ذلك:

إن القانون تارة يكون وارداً بلسان العموم والشمول، كما إذا قال: أكرم أهل البلد الفلاني، وأخرى يكون وارداً بلسان التشخيص وإرادة بعض الحصص والأفراد، كما إذا قال: لا تكرم أشرار هذا البلد (نفسه).

**فلا يتوهم حتى الإنسان الساذج**: أن بين الخطابين تناقضاً، لأن أدنى التفات منه، يبين أن له كلاً من القضيتين تتحدث عن موضوع خاص لا علاقة له بالآخر، إلا أنه جيء بالثانية ليرفع ما يمكن أن توهمه القضية الأولى، من أنه أمر بإكرام الأخيار والأشرار في هذا البلد، فتكون الثانية مفسرة للمراد من الأولى وهذا ليس من التضارب في شيء، بل هو من البلاغة المفترضة في الكلام، وعليه جرت سائر لغات العالم.

ويمكن أن يؤتى بهذا النوع من الأحكام العامة والمخصصة بأسلوب آخر، وهو أن يقول مثلاً: أكرم أهل البلد الفلاني، ثم يقول: أكرم أخيار البلد دون سواهم، وهذه لا تختلف عن سابقتها في كونها مفسرة وقرينة على

أن المراد بأهل البلد الذين يجب إكرامهم هم الأخيار أيضاً.

ويعد هذا الأمر من أساليب البيان في اللغة، لحكمة تقتضيه.

**ومنها:** أن قدرات الناس تتفاوت تقبلاً وتأثراً، وفي كثير من الحالات إدراكاً أيضاً، فإن بعض المقامات لا تحتاج إلى بيان أكثر من أصل الموضوع، ولا يصح الخوض في أية تفاصيل أخرى، إما لأن السامعين كلهم أو بعضهم غير قادرين على استيعاب المراد، وإما لأنهم حديثوا عهد بالدعوة وقوانينها.

**ومن المعلوم:** أن الدين الإسلامي الحنيف قد بدأ بين قوم جاهليين، تحكمهم الكثير من العادات القبلية، والتقاليد الموروثة، كالثارات والسطو والنهب وغير ذلك، فأراد أن يقوِّم طبائعهم ويصحح عاداتهم، وليس من السهل على الإنسان أن يغير ما نشأ عليه من عادات وتقاليد، وإن عرف وتأكد من أنها باطلة ومضلة، فكيف إذا كانت مع ذلك مصادمة لمصالحه الذاتية، أو مخالفة لميوله ورغباته وأهوائه ..

**ويمكن تقريب الفكرة هنا في الحياة العملية:** بأن نشبهها بدساتير الدول والشعوب، فإن دستور الدولة يتضمن عادة الخطوط العامة للنظام، ولا يتعرض إلى التفاصيل والجزئيات، وتأتي القوانين لتفصل ما أجمله الدستور، وتبين مقاصده ومراميه، بل إن القوانين نفسها تستتبع، في كثير من الأحيان، بملاحق توضيحية وتفسيرية، ولا يدور بخلد عاقل أن يدَّعي التناقض بين الدستور والقوانين التفصيلية، أو بين القوانين وملاحقها

التوضيحية، لمجرد كون هذه كليات وتلك جزئيات، وعموم وخصوص، ومطلق ومقيد.. سوى هذا الكاهن المفترض، الذي لم يدرك، أو لم يرد أن يدرك خصوصيات الكلام وأساليبه، لغاية في نفسه، لا يريد الإفصاح عنها بصراحة، وإن كانت ظاهرة الخلفية، ولعل هذا من الإلقاءات الإعلامية المتعمدة، التي تهدف إلى إثارة الشبهة من أجل التعمية على الناس، وهذا ما بينه القرآن الكريم بجلاء ووضوح تامين، حين قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾[1].

## من التناقضات المزعومة

إن الأساس في هذه المزاعم الباطلة، والمفضوحة هو الأرشمنديت (الأستاذ) يوسف درة الحداد في كتابه: «**القرآن والكتاب**»[2]، الذي ظن أنه قد أتى بما لم يأت به الأولون، وقد جاء الذين أتوا بعده فنهلوا من مائه الآسن، فسقطوا في مستنقع كلامه، ربما لثقتهم به، وحسن ظنهم بعلمه، وسعوا في إشاعة تلك المزاعم.

**ولكي يظهر حال هذه الأباطيل**: نذكر موهوماته التي سطرها في

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٢) القرآن والكتاب ج٢ص٣٣٨.

كتابه، ثم نبين وجه المغالطة والجهالة فيها، لكي لا يغتر أحد بها قال، وليتبين له أنها ناشئة من عدم التدبر والتأمل، أو من الإصرار على اتباع الهوى، فكانوا بذلك مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١].

وها نحن نبين ذلك في ضمن النقاط التالية:

### ١ ـ المناقضة الأولى:

إنه تعالى يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٢]، مع أنه يقول: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾[٣].

وجوابها:

إنه لم يتحقق منهم كتمان أصلاً، لأن الكتمان إنما يصح في من يتصور في حقه الكتمان، ولما كان الله تعالى مطّلعاً على سرائرهم، فلا يمكنهم كتمان أي

(١) الآيتان ١٤٥ و ١٤٦ من سورة البقرة.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢٣ من سورة الأنعام.

(٣) القرآن الكريم، الآية ٤٢ من سورة النساء.

شيء عنه تعالى، وإن أنكروا بألسنتهم، ولذلك عبر عن قسمهم هذا بأنه كان فتنة لهم، وذلك أن الفتنة في اللغة: عبارة عن كل ما يوجب اختلالاً واضطراباً، ويختلف باختلاف متعلقه، فقد يكون بالمال، أو بالصحة، أو بالأمن أو بالنفس، أو غير ذلك، وهي في المقام عبارة عن الاضطراب النفسي الحاصل لهم نتيجة ما اقترفته أيديهم، ويشهد له أنه عقبها بقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[١].

ولكن حضرة الأستاذ الحداد لم يذكر ذيل الآية الشريفة المذكورة، والذي يفسر المراد منها، ويوضح معناها، مع أن مقتضى البحث الموضوعي، وأمانة البحث تقتضي ملاحظة الكلام بتمامه، لتتبين الغاية الحقيقية، والمعنى الذي سيق الكلام لبيانه، وبناءً عليه يمكن أن يرتب عليه النتائج المنطقية، التي يفضي إليها بحثه ودراسته.

أما تقطيع الكلام وإخراجه من سياقه، فلا يفيد سوى تشويش المراد في ذهن المتلقي وتضليله، ولا يبعد أن تكون هذه إحدى غايات المستشكل.

**وأما الآية الثانية**: فهي بمثابة النتيجة لهذه الفتنة، فإنه تعالى يقول فيها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾[٢]، وذلك أن المرء لا يتمنى أن تسوى به الأرض، أي

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٢٤ من سورة الأنعام.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٤٢ من سورة النساء.

أن يكون تراباً إلا إذا افتضح أمره، فيتمنى أن يكون تراباً اتقاءً لهذه الفضيحة.

**ومعنى ذلك**: أنهم بعدما كذبوا على أنفسهم ووقعوا في فتنة القسم والاضطراب النفسي، وتبين لهم أن حقيقة الأمر لا يمكن أن تخفى على الله تعالى، وإن حاولوا الإنكار بألسنتهم، لأن جلودهم وأيديهم وأرجلهم سوف تشهد عليهم، واستيقنوا افتضاح أمرهم، تمنوا أن يكونوا تراباً.. فأين التناقض المزعوم؟!

## ٢ ـ المناقضة الثانية:

إنه تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ**﴾[١].

وقد قال تعالى: ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ**﴾[٢].

**وجوابها**:

إنه لا ربط بين الآيتين أصلاً، فإن ما تنفيه الآية الأولى غير ما تثبته الآية الثانية، إذ الآية الأولى تقول: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ**﴾، فهي تريد أن تنفي فائدة الأنساب التي كانوا

---

(١) القرآن الكريم، الآية ١٠١ من سورة المؤمنون.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢٥ من سورة الصافات.

يتفاخرون بها في الدنيا، وتثبت أن الحصول على نعيم الآخرة مرتبط بعمل المرء فقط، ولذلك أتبعها مباشرة بقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[1].

وأما الآية الثانية: فهي في مقام بيان التلاوم بين التابعين والمتبوعين، أي من يتحمل المسؤولية في ضلالهم وكفرهم، ودخولهم نار جهنم، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ، قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ، قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ، فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾[2].

فأي تناقض بين عدم تساؤلهم عن أنسابهم التي كانوا يتفاخرون بها، ويستترون وراءها في عالم الدنيا، وإثبات أن عاقبتهم مرهونة بأعمالهم دون سواها، وبين تساؤلهم وملامة بعضهم بعضاً حول السبب في ضلالهم وكفرهم الذي استتبع أعمالاً منسجمة مع ما عقدت عليه قلوبهم وسرائرهم، ومن المسؤول عن ذلك.

بل إن الآيتين الشريفتين مكملة إحداهما للأخرى من جهة التلازم بين الإيمان القلبي والإلتزام العملي الناتج عنه.

---

(١) الآيتان ١٠٢ و ١٠٣ من سورة المؤمنون.

(٢) الآيات ٢٧ ـ ٣١ من سورة الصافات.

وما التناقض المزعوم بين الآيتين الشريفتين إلا كالتناقض بين قولنا: «جاء زيد» وقولنا: «لم يأت عمرو» فهل هذا صحيح عند هذا الأرشمنديت وذلك الكاهن؟!

## ٣ ـ المناقضة الثالثة:

إنه تعالى يقول: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾ مع قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[١] فالآية الأولى تفهم إمكان العدل، والثانية تنفيه.

وجوابها:

واضح وظاهر لكل ذي لب، إذ الفرق شاسع بين العدل في كل من الآيتين الشريفتين، فالآية الأولى ناظرة إلى العدل في الإنفاق، لأنه عقبها بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾[٢].

وأما الآية الثانية فتقول: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[٣]. وهي ظاهرة بل صريحة: بأن العدل هنا بمعنى الحب والميل القلبي، فأي ربط بين المقامين

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٣ والآية ١٢٩ من سورة النساء.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٣ من سورة النساء.

(٣) القرآن الكريم، الآية ١٢٩ من سورة النساء.

ليقال بوجود التناقض بينهما.

**وبعبارة أخرى**: أننا إذا قلنا ـ كما هو معنى الآيتين فعلاً ـ: اعدل بينهما في النفقة وإن مال قلبك لأحداهما أكثر، فهل في هذا تناقض؟!..

إن الآية الشريفة الثانية واردة في مقام بيان حقيقة واقعية في أعماق الطبيعة الإنسانية وهي: أن الإنسان لا يستطيع أن يساوي بينهما في الحب من جميع الجهات، لأن الحب والميل أمر غير اختياري، بخلاف الإنفاق وغيره من الأعمال والسلوك، فإنه لما كان واقعاً تحت الإختيار والإرادة، ومتعلقاً بفعل الإنسان وسلوكه، يمكن توجيه الأمر به والنهي عنه إلى الإنسان، فيوجب عليه التسوية والعدل بينهما في الإنفاق، حتى لو مال قلبه إلى أحداهما، فإنه ينبغي أن لا يظلم الأخرى نتيجة هذا الأمر القهري، ولا منافاة بين الأمرين. وهذه نقطة تسجل لصالح القرآن الكريم، ولا تشكل نقضاً عليه.

## ٤ ـ المناقضة الرابعة:

إنه تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[١]، مع أنه تعالى يقول: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾[٢].

(١) القرآن الكريم، الآية ٢٨ من سورة الأعراف.

(٢) القرآن الكريم، الآية ١٦ من سورة الإسراء.

وجوابها:

أنه لا يريد الفصل بين قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا..﴾، وبين قوله: ﴿..فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾، إذ ليس المقصود: أننا أمرناهم بالفسق ففسقوا، بل المقصود: أننا أصدرنا إليها الأوامر، فلم يطيعوها، فنتج عن ذلك فسقهم، أي أنه تعالى يأمرهم في الآية الثانية بالخير والطاعة، فيعصونه ولا يطيعون أمره، ومعنى الفسق الخروج عن طاعته تعالى والتمرد على أوامره، كما نصت عليه معاجم اللغة.

ولا يمكن أن يكون المراد: أنه تعالى يأمرهم بالفسق؛ لأن معناها حينئذٍ: أنه يأمرهم بالتمرد عليه وعدم إطاعة أوامره، وعليه فإما أن يلتزموا بما أمرهم به، وهذا يعني: أنهم مطيعون فلا يسمون فاسقين، فلا يستحقون العقاب والعذاب، وإما أن يخالفوه في ما أمرهم به، وفي هذه الحال أيضاً لا يكون عقابه لهم حقاً، إذ الآية الكريمة تقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾، فالتدمير إنما يكون على الفسق والإفساد واتباع الفحشاء، الذي هو من أوامر الشيطان لا الرحمن؛ لأنه تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[١].

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٢١ من سورة النور.

وأما الله تعالى، فإنه: ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].

فلا معارضة ولا مناقضة بين الآيتين الشريفتين.

**هذا مضافاً**: إلى أن الآية الأولى قد وردت في مقام الرد على أمثال هؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون، فهي تقول: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ آبَاءنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، حيث نسبوا الأمر بالفحشاء إليه تعالى، فأراد سبحانه أن يبين افتراءهم وكذبهم في ما يقولون، وضلالهم في ما يفعلون.

فالآيتان الشريفتان متوافقتان تمام التوافق.

## ٥ ـ المناقضة الخامسة:

إنه تعالى يقول في موضع عن عصى موسى «عليه السلام»: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾[٣].

وفي موضع آخر: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾[٤]، والجان هو الصغير من الحيات،

(١) القرآن الكريم، الآية ٩٠ من سورة النحل.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢٨ من سورة الأعراف.

(٣) القرآن الكريم، الآية ١٠٧ من سورة الأعراف، والآية ٣٢ من سورة الشعراء.

(٤) القرآن الكريم، الآية ١٠ من سورة النمل، والآية ٣١ من سورة القصص.

والثعبان هو الكبير منها.

وجوابها:

إن كلاً من الآيتين الشريفتين تتحدث عن حالة خاصة وزمان خاص، ولا ربط لإحداهما بالأخرى إلا من جهة الإعجاز، إذ الآية الثانية تتحدث عن أول معجزة له حصلت عند بعثته، وفي سياق طمأنته، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ، فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[1].

فحال العصا عند بشارته وبعثته، وهي المرة الأولى التي يحصل فيها هذا الأمر الغريب، ليس كحالها حين تحديه لفرعون حيث بهته، وألقى الرعب والإرباك في نفسه، ونفوس أتباعه إذ إن مقام الطمأنة والتأييد متلازم مع حالة الرفق والتخفيف، ولهذا ظهرت له كأنها جان أي حية صغيرة، وهذا بخلاف الحالة الثانية، التي حصلت بعد أن اطمأنت نفس موسى «عليه السلام»، وسكن روعه، وأيقن بنصر الله تعالى له على عدوه.

ولهذا، **فإن الأمر الطبيعي**: أن تظهر أمام فرعون ثعباناً يلتهم حبالهم

---

(١) الآيات ٧ ـ ١١ من سورة النمل.

وعصيهم، وهذا هو المناسب لمقام التحدي، وإرعاب مدَّعي الربوبية لعله يتذكر أو يخشى، يقول تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، حَقِيقٌ عَلَى أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[1].

**وقد تقدم**: أن من شروط التناقض وحدة الزمان، فإذا كانت الحالتان في زمانين مختلفين فلا تناقض خصوصاً إذا كانت كل حالة ناظرة إلى ظرف معين، وخصوصية يقتضيها كل من الواقعتين، وإلا فيمكن القول بناء على هذا الفهم بأن حياة الكاهن تناقض كلها، لإنه يكون مستيقظاً في النهار ونائماً في الليل، وجالساً حيناً وقائماً حيناً آخر، وجائعاً تارةً وشبعاناً أخرى، فهل حياته تناقض كلها؟!

## كتابهم أولى بالمتناقضات

وبمناسبة الحديث عن التناقض والتضارب، نجد أن من الضروري الإشارة إلى المتناقضات والدعاوى الباطلة وغير المعقولة، الواردة في الكتاب المقدس نفسه.

وهنا لن أتعرض إلى التناقضات الواردة بملاحظة العهدين، فإنها لا

---

(١) الآيات ١٠٤ ـ ١٠٧ من سورة الأعراف.

تعد ولا تحصى، والحديث عنها يحتاج إلى بحث مستقل.

وإنما سأذكر بعضاً من تناقضات العهد الجديد فقط، مع الإشارة إلى أن ما سنعرضه هنا لا يشكل سوى قطرة في بحر التناقضات التي يشتمل عليها هذا الكتاب، سواء كان ذلك في موضوعات كل سفر على حدة، أو كان بين الأسفار بعضها مع بعض، واللطيف أن كل ذلك مقدس!..

١ ـ **نسب المسيح**: لقد ابتدأ متى إنجيله بذكر نسب المسيح الذي يرجع به إلى إبراهيم بواسطة داود ويوسف النجار، وسلسلة النسب هذه تربطه بإبراهيم بواسطة أربعين أباً[(١)].

وأما إنجيل لوقا فيربط المسيح بإبراهيم بواسطة يوسف النجار وداود أيضاً من خلال خمسة وخمسين أباً[(٢)].

وأيضاً المسيح من ذرية سليمان بن داود عند متى، ولكنه من ذرية ناثان بن داود عند لوقا.

**والطريف هنا**: أن والد يوسف النجار نفسه غير معروف فبينما اسمه يعقوب عند متى، نجده يحمل اسم هالي عند لوقا. فهل الكل صحيح؟!..

٢ ـ إن من الواضح في سلسلتي النسب المذكورتين: أن المسيح ابن داود، مع أننا: نجد في كلا الإنجيلين تكذيباً لذلك، يقول متى:

---

(١) إنجيل متى: ١/ ١ ـ ١٧.

(٢) إنجيل لوقا: ٣/ ٢٣ ـ ٣٤.

«وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع، قائلاً ماذا تظنون في المسيح. ابن من هو؟.

**قالوا:** ابن داود.

**قال لهم:** فكيف يدعوه داود بالروح رباً؟ قائلاً: قال الرب لربي: إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه»؟![١].

**ويقول لوقا:**

«وقال لهم: كيف يقولون أن المسيح ابن داود؟ وداود نفسه يقول في المزامير: قال الرب لربي: إجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فإذا داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه»[٢].

ولم ينحصر التناقض في هذين الإنجيلين وحسب، بل إن نفس القضية ذكرها كاتب إنجيل مرقس مكذباً أن يكون ابن داود، فيقول:

«ثم أجاب يسوع وقال: وهو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبة: أن المسيح ابن داود، لأن داود نفسه قال بالروح القدس الرب لربي: إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فداود نفسه يدعوه رباً. فمن

---

(١) إنجيل متى: ٢٨/ ٤١ ـ ٤٥.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٠/ ٤١ ـ ٤٤.

أين هو ابنه»؟[١].

أليس من التناقض أن يكون المسيح ابناً لداود، وليس ابناً له في نفس الوقت؟!

٣ ـ إن المسيح كان يعمد[٢]، وفي نفس الإنجيل يقول: «إن المسيح لم يكن يعمد بل تلاميذه»[٣].

٤ ـ لما ابتدأ المسيح كان له نحو من ثلاثين سنة[٤]، أي بعد اعتقال يوحنا المعمدان[٥]، بينما يدَّعي إنجيل آخر: أنه قد بدأ خدمته قبل اعتقال يوحنا[٦].

٥ ـ وأما آية يونان النبي وما أدراك ما الآية. فلم يستطع الإنجيليون أن يتفقوا على روايتها، وهذه نصوصها:

أ ـ يقول متى: «حينئذٍ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين: يا معلم، نريد أن نرى منك آية، فأجاب وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب

---

(١) إنجيل مرقس: ١٢/ ٣٥ ـ ٣٧.

(٢) إنجيل يوحنا: ٣/ ٢٢.

(٣) إنجيل يوحنا: ٤/ ٢.

(٤) إنجيل لوقا : ٣/ ٢٣.

(٥) إنجيل مرقس:١/ ١٤ـ١٥ومتى: ٤/ ١٢.

(٦) إنجيل يوحنا: ٣/ ٢٢ـ ٢٤.

آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»[١].

ب ـ وأما مرقس فيقول:

«فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه، فتنهد بروحه وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية»[٢].

فالأول يثبت حصول آية يونان النبي والثاني ينفيها، كما أن الأول يؤكد على بقائه في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما حصل مع يونان، ولكن الجميع اتفقوا أنه عندما صلب (بدعواهم) لم يبق في القبر إلا ساعات قليلة؛ لأنه صلب حسب الفرض مساء الجمعة ليلاً، وجاءت المجدلية إلى القبر يوم الأحد عند الفجر ولم تجده فيه.

فيحتمل أن يكون جسده قد اختفى من القبر بعد تفرق الناس مباشرة ساعة دفنه، ويحتمل أن يكون صباح يوم السبت.

**وحتى إذا افترضنا:** أنه اختفى عند فجر الأحد لا يكون قد مكث فيه ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما افترضته نبوءة متى.

---

(١) إنجيل متى: ١٢/ ٣٨ـ ٤٠.

(٢) إنجيل مرقس: ٨/ ١١ـ١٢.

وعلى كل حال: فالتناقضات الإنجيلية أكثر من أن تحصى في هذا المقام، وإنما اكتفينا بذكر هذه النماذج ليتبين مدى صدق الكاهن، مع أنه يكفي تناقض واحد لإسقاط معنى القداسة الذي يثبتونه لكتابهم.

## بلاغة القرآن الكريم

قال: «إن هناك ملاحظات على بلاغته ونحوه وغير ذلك من خصائص اللغة العربية الصحيحة».

**أقول:**

لا نظن أنه يخفى على أحد، أن القواعد العربية في مختلف فروعها قد أسست ووضعت بعد نزول القرآن بعشرات السنين، فإن قواعد النحو قد بدأت في التأصيل بعد عصر عبد الملك بن مروان، حين ظهر الخطأ في اللغة وانتشر، حتى بات يهدد اللغة كلها.

وإن كانت بذورها الأولى قد بدأت على يد أبي الأسود الدؤلي بتوجيه من أمير المؤمنين علي بن ابي طالب «عليه السلام»، وهو الآخر بعد نزول القرآن الكريم بزمن.

هذا بالنسبة إلى علم النحو، وأما بالنسبة إلى علم البلاغة، فإن عصره يمتد إلى زمن العباسيين، وتحديداً إلى أواخر القرن الخامس الهجري، على يد الشيخ عبد القاهر الجرجاني المولود سنة ٤٧١ هجري. وهو واضع أصول علم البلاغة، مع أن باكورة هذا العلم وهو كتابه دلائل الإعجاز يستند أولاً وقبل كل شيء إلى القرآن الكريم في بيان شواهده وقواعده.

**فمن المعلوم إذن، لدى كل من له أدنى معرفة بعلوم اللغة**: أن القرآن الكريم يشكل الأساس الأول في تأسيس هذه القواعد، وأهم الشواهد عليها، بل من المعلوم تاريخياً، أن هذه العلوم إنما بدأ التفكير فيها بعدما دخلت كثير من الأمم غير العربية في الإسلام، وأخذت لغة العرب تضعف في أذهانهم، إلى حد كثر فيه اللحن فيها، فخاف كثير من المخلصين من تطرق اللحن والخطأ إلى القرآن الكريم، فشرعوا في البحث فيها صوناً للغة القرآن من التلاعب والتحريف.

**فكيف يصح القول بعدما تقدم**: بأن في القرآن أخطاء لغوية، استناداً إلى هذه القواعد، التي استندت في وضعها وصيرورتها قواعد إلى القرآن الكريم نفسه.

## من الأخطاء المزعومة

ومع ذلك، فسوف نسوق بعض الشواهد التي ذكروها، كأخطاء مزعومة في القرآن الكريم، استناداً إلى القواعد الصحيحة هذه، وقد وزعت على شبكات الإنترنت، وفي بعض المدارس اللبنانية، تحت عنوان (أخطاء لغوية بالقرآن) [كذا]، لنتبين مقدار جهل هؤلاء القوم بالقرآن الكريم، وبالقواعد العربية الصحيحة على حد سواء:

١ ـ ﴿اللهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ

السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[1].

**والصحيح أن يقول:** «لعل الساعة قريبة» لأن كلمة قريب تعود على الساعة المؤنث.

**٢ ـ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].**

**والصحة التي لابد منها هي:** «إن رحمة الله قريبة من المحسنين» لأن كلمة قريب تعود على كلمة الرحمة المؤنث وليس حسب لفظ الجلالة، لأنه لا يصح في اللغة العربية أن تقول: «هذه الساعة جديد».

**بل الصحة طبقاً لقواعد اللغة العربية أن تقول:** «هذه الساعة جديدة».

**أقول:**

لا يخفى على من شم رائحة قواعد اللغة العربية واستعمالاتها، مهما كان قليل البضاعة فيها، أن علماء اللغة قد قسموا المؤنث إلى حقيقي ومجازي، والمؤنث الحقيقي هو الذي يجب الموافقة فيه من حيث التذكير والتأنيث، وأما المؤنث المجازي، ومنه كلمة «**الساعة**» «**والرحمة**»، فيجوز إرجاع الضمير إليه ونعته بالمذكر و**المؤنث** على حد سواء.

**والتذكير والتأنيث:** يكون حقيقياً في ما له فرج، وأما ما ليس له فرج فالتذكير والتأنيث فيه مجازي وليس حقيقياً.

---

(١) القرآن الكريم، الآية ١٧ من سورة الشورى.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٥٦ من سورة الأعراف.

فالآيتان الشريفتان متوافقتان مع القواعد العربية الصحيحة ـ حسب تعبيره ـ وليست مخالفة لها.

٣ ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[1].

**ومن المعلوم**: كما قال علماء اللغة العربية: أن الفعل العائد على المتكلم الجمع لابد أن يكون جمع (كذا)، والمفرد يكون مفرداً.. كما دل عليه بنفس هذه الآية قوله: ﴿آمَنَّا ..بِأَنَّنَا﴾ وعلى هذه القاعدة اللغوية السليمة لابد وأن تكون الصحة الحتمية هي (ونشهد) وليس (واشهد) المفرد.

أقول:

إن هذا العالم الجليل باللغة العربية وقواعدها!! لم يستطع التفريق بين الفعل المضارع وفعل الأمر، حيث ظن أن كلمة «واشهد» فعل مضارع وفاعله ضمير المتكلم، ولم يدرك أن المعنى: واشهد يا الله، أي أن فاعله ضمير المخاطب لأنه فعل أمر!..

٤ ـ ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُّدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2].

---

(١) القرآن الكريم، الآية ١١١ من سورة المائدة.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٦٩ من سورة التوبة.

والصحة الحتمية لكلمة (خاضوا) الجمع العائدة على ما قبلها وهي كلمة (كالذي) أن تكون (كالذين خاضوا) وليس (كالذي) المفرد..

وهذه القاعدة واردة في الشطر الأول من هذه الآية حيث يقول: ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ﴾ ولم يقل كما استمتع (الذي) من قبلكم بخلقهم..

وفي بداية الآية يقول: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾.

**أقول:**

إن كلمة «**الذي**» ترجع إلى المستمتعين، مع أن المراد بالذي: هو الخوض، أي خضتم بالذي خاضوا فيه، هذا على قياس سيبويه.

وأما على قياس الأخفش وغيره، فإن كلمة «**الذي**» مصدرية، والتقدير على هذا: «كالخوض الذي خاضوا فيه».

ولست أدري إن كان هذا المخطّئ للقرآن، والذي استند في تخطئته إلى القواعد الصحيحة ـ لست أدري إن كان ـ قد سمع بأسماء هذين العلمين وغيرهما من أعلام العربية أم لا، فضلاً عن أن يفهم مضامين كلامهم، ما دام لا يحسن حتى قراءة العربية وإلا فلا نظن أن عالماً بالعربية يحترم علمه، يتفوه بمثل هذا الكلام؟!

٥ ـ ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[١] ، وكان الأصح أن يقول: (هذين).

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٦٣ من سورة طه.

أقول:

إن المبتدئ في دراسة العربية إذا وصل إلى باب الحروف المشبهة بالفعل، يعرف أن: «**إن**» هنا هي مخففة من الثقيلة بدليل اللام الداخلة على «**ساحران**»، والقاعدة أن: «**إن**» إذا خففت جاز فيها الإعمال والإهمال، والإهمال أكثر وأفصح، وإذا خففت لزمتها اللام للتفريق بينها وبين إن النافية وهذا هو الحاصل في الآية الشريفة.

وسأكتفي بهذا القدر من التعليق على هذه الجهالات، إذ هي كافية لإعطاء صورة عن علم هؤلاء القوم في العربية وقواعدها، لأن سائر الموارد التي ذكروها على أنها أخطاء نحوية، كلها من هذا القبيل، حتى لا نطيل على الملاحظ الكريم.

## هل كان النبي صلى الله عليه وآله مثقفاً؟!

٢ ـ قال في الإشكال المرقم بالرقم (٢): «إن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان شخصاً مثقفاً من الأشراف، وكان يقرأ ويكتب وبالتالي فإن إتيانه بالقرآن ليس بالشيء العجيب ولا المستغرب».

أقول:

إن القرآن الكريم نفسه يتحدث صراحة عن أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن قبل نزول القرآن الكريم عليه مثقفاً بالمعنى الذي يريده هذا الكاهن، أي أنه لم يختلف إلى معلم، ولا ذهب إلى مدرسة، يقول تعالى:

**﴿قُل لَّوْ شَاء اللهَ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ**

﴿عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1].

**وهي ظاهرة الدلالة:** على أن حياته الشريفة في قومه، كانت عادية جداً، قبل صدعه بالرسالة، إلى حد أنه يطالبهم بالرجوع إلى أنفسهم ليدركوا أن إثبات الإعجاز فيه والوحي الإلهي بالقرآن الكريم لا يحتاج إلى أكثر من ملاحظة هذا الأمر البسيط، الذي يعرفونه حق المعرفة، من خلال معاشرتهم له تلك الفترة الماضية.

ولم يتحدث التاريخ أبداً عن معارضة أحد لهذه الآية الشريفة أو تكذيبها، مع أن أعداء الدين كثيرون، وقد حاولوا تكذيبه بكل ما أوتوا من قوة ومكر ودهاء، بأي مستوى من مستويات التكذيب، ولو في أبسط الأمور وأصغرها، رجاء إسقاطه في أذهان الناس، وخصوصاً المؤمنين به، ولم يقدروا.

**هذا..** مع أن القرآن الكريم لا يزال يتحداهم: في أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[2].

ثم تنزل في تحديه لهم في الإتيان بعشر سور، ومع ذلك عجزوا عن ذلك، قال تعالى:

---

(١) القرآن الكريم، الآية ١٦ من سورة يونس.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ الله إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ الله وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

ولقد وصل تحديه لهم إلى أن طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله، ففي مقام تفنيد دعاواهم يقول تعالى:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ الله وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ الله إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

ولا يزال هذا التحدي قائماً، ولم يقدر ولن يقدر أحد على ذلك، قال تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِن دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٣].

---

(١) الآيتان ١٣ و ١٤ من سورة هود.

(٢) الآيات ٣٧ ـ ٣٩ من سورة يونس.

(٣) القرآن الكريم، الآية ٢٣ من سورة البقرة.

ولا زال القرآن الكريم يتحدى هذا الكاهن الذي يرى نفسه مثقفاً، فهل استطاع أو يستطيع أن يأتي بسورة من مثل سور القرآن الكريم؟ فليجرب نفسه ويعرض ثقافته لنرى إن كان يستطيع ذلك.

**وعلى كل حال:** فإن غاية ما استطاعه أعداء الدين هو اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه أخذ القرآن الكريم عن غيره، في قضية فندها القرآن وأثبت زيفها، وبعدها عن الحقيقة الماثلة أمام أعين هؤلاء الخصوم، إلا أن المغالطة والمكابرة هي التي دعتهم إلى مثل هذا القول، حيث يقول تعالى:

**﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾**[1].

**وهي تدل على:** أنهم يعرفون عظمة القرآن حق المعرفة، ولكنهم يسعون لإثارة الشبهة حوله ولكن أحداً منهم لم يدَّع ما ادَّعاه هذا الكاهن، ولم يجرؤوا على القول: أنه ابتدعه من عند نفسه، لوضوح عدم إمكان تصديقهم من أحد، بل هم كانوا يدركون تمام الإدراك، أن مثل هذه الدعوى سوف توقعهم في حرج أشد مما يحتملونه، ولهذا نسبوه إلى غيره وأنه يلقنه إياه، ولو كانوا يعرفون منه أنه تعلم واكتسب ثقافة من أحد من الناس ـ وهم الذين عايشوه أربعين سنة ـ أو أنهم كانوا يحتملون تأثير مثل

---

(١) القرآن الكريم، الآية ١٠٣ من سورة النحل.

هذه الفرية، لكان من الطبيعي أن يتمسكوا بها، ولم يكن لنسبة القرآن إلى تعليم وتلقين غيره أي معنى.

**والظاهر**: أنهم لم يجدوا بين العرب من يمكنه أن يطلع على العلوم والحقائق القرآنية العالية، بل ولا على ما هو دونها في المستوى بمراتب، فنسبوا تعليمه إلى من يتحدر من حضارة عريقة، وهو سلمان الفارسي «رحمه الله» كما في بعض الروايات ـ مع أن سلمان لم ير النبي «صلى الله عليه وآله» إلا بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته ـ فجاء الجواب القرآني الحاسم في إبطال مقولتهم هذه، وتفنيد زعمهم، وهو الفارق الهائل بين لسان القرآن الكريم ومستواه البياني، وبين المستوى البياني لمن ينسبونه إليه.

**ونعود لنؤكد هنا**: أنه لا يوجد أي مصدر تاريخي، مسلماً كان كاتبه أم غير مسلم، نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما نسبه هذا الكاهن المحترم، ويبدو أنه قد أدرك شيئاً من عظمة المضامين وسمو المقاصد، التي اشتمل عليها القرآن الكريم، فبهر ذلك عقله، وسلبه لبه، فاعترف بعظمته وجلاله، دون أن يشعر، فنسب الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى الثقافة والقراءة والكتابة، ليوحي بأنه «صلى الله عليه وآله» قد اكتسب ذلك من الآخرين، مكذباً مختلف المصادر التاريخية، بهذه الدعوى الفارغة، والمجردة عن أي دليل يدعمها، أو سند يثبتها.

**ونحن وإن كنا نعتقد**: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كان عارفاً بالقراءة والكتابة، لكن لا بالتعلم من الآخرين، بل على سبيل الإعجاز..

ولذلك لم يستطع أحد ممن عاش معه وعرفه عن كثب أن يفلح في نسبة التعلم من الآخرين إليه «صلى الله عليه وآله».

## التسامح والعنف

٣ ـ قال في الإشكال المرقم بالرقم (٣): «يدعي أن الإسلام فيه مساحة كبيرة من الدعوة إلى العنف والقتل في حين أن المسيحية كلها بتمامها تدعو إلى المحبة والتسامح وهذا خلق كريم أكرم من القتل والقصاص الخ.. فالمسيحية تفيض بالمحبة والرحمة على الناس، بخلاف الدين الإسلامي الذي تتكاثر فيه الدعوة إلى العنف..

أقول:

لابد من بسط الكلام في هذه المسألة، بقدر ما يتسع له الوقت، ليتبين الإفتراء والمغالطة فيها، ويظهر من خلالها مخالفة المسيحية القائمة للفطرة الإنسانية، الأمر الذي أدى بالكنيسة، ومن ورائها سائر المسيحيين، إلى الإبتلاء بعدم الإنسجام مع الذات، على مستوى التطابق بين النظرية والتطبيق، وليظهر من ناحية أخرى، أن الأحكام الإسلامية هي المطابقة لما يقتضيه الطبع الإجتماعي العام، والمتوافقة مع الفطرة الإنسانية، فلا تستقيم الحياة الدنيا بدونها، ولا يتحقق الخلاص في الآخرة إلا من خلالها.

إن الإسلام قد تكفل تنظيم حياة الناس على كافة المستويات، السياسية، والإجتماعية، والإقتصادية، والتربوية، وغيرها مما له ارتباط في تنظيم شؤونهم، وتقويم سلوكهم، وتطهير نفوسهم، فوضع القوانين

والتشريعات، التي تستوعب حياتهم في مختلف ميادينها، كما قال تعالى:

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[١].

إن من جملة التشريعات التي لابد منها، ولا يستقيم معاش الناس بدونها، تلك التي تمهد لتشكيل المجتمع الفاضل، أو المدينة الإلهية، إذا صح التعبير، فإنه بحكم العوامل المختلفة التي تشكل شخصية كل فرد من أفراد الناس، تتفاوت نظرتهم إلى الحياة، كما آمالهم، وأحلامهم، وطموحاتهم، وكذلك آلامهم، ومخاوفهم، وواقعهم الذي يعيشون فيه، وطاقاتهم على التفاعل مع ما يواجهونه في هذه الحياة، فيبرز العنصر الصالح والفاسد، والكامل وسواه، وكل ذلك برز في الناس بدرجات متكثرة، تبعاً لتكثر الأفراد أنفسهم، الأمر الذي يستلزم وضع أسس وتشريعات متناسبة مع كل فئة، في سبيل تصحيح المسار العام للمجتمع برمته، هذا فضلاً عن عدم صحة تسميته عضواً حينئذٍ، ما دام غير ناشئ من إرادته واختياره.

من هنا تبرز أهمية نظام العقوبات وخطورته، في المجتمع الإنساني كله، بل إن أي مجتمع من المجتمعات لا تقوم له قائمة إذا افتقد قانون العقوبات من سلسلة تشريعاته وقوانينه، وهذا ما نلاحظه في كافة المجتمعات المعاصرة والسابقة، لأن الأفراد المنحرفين عن المسار الاجتماعي بمثابة المرضى، الذين لابد من إصلاحهم أو بترهم، وإلا سرى الداء والإنحراف

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

إلى جميع أفراده، مما يؤدي إلى نهاية الجماعة كلها.

إن قوانين العقوبات هذه، تارة تتعلق بأفراد معينين، بمعنى أنها ترتبط بجرائم جزئية، وحوادث فردية، كجريمة قتل إنسان، أو اعتداء على حق من حقوقه، وتارة أخرى تتعلق بالمجتمع كله، وتؤثر على نظامه العام، بشكل مباشر، بمعنى أن الجريمة أو الجناية لا تشكل اعتداء على فرد خاص وشخص بعينه، وإنما تكون متوجهة لإفساد المجتمع برمته مباشرة، وقد جعل الإسلام لكل من القسمين قوانين معينة تتناسب وحجم الجريمة، ومدى خطورتها وتأثيرها، وغاية هذه القوانين حفظ حقوق الأفراد، وتحصين المجتمع من تبعات الجرائم والإنحرافات.

غير أن قوانين العقوبات هذه ليست نهائية، وغير قابلة للإستئناف، فلقد حث الإسلام صاحب الحق على العفو، ووعد عليه بالمغفرة والرحمة في الحياة الآخرة.

إذا كانت الجريمة والجناية المفترضة من القسم الأول، أي كانت فردية وخاصة، فقد جعل الحق بيد أولياء الدم، فإنهم أصحاب الحق الطبيعي، فإذا كانت جريمة قتل مثلاً، كان الحق لورثة المقتول أو المسلوب حقه، فإن شاء أصحاب الحق القصاص والإنتقام لم يكن لأحد منعهم من ذلك، بل إن وظيفة الحاكم أن ينفذ إرادتهم، وإن شاؤوا العفو الذي أكد عليه الإسلام كان لهم ذلك دون إكراه من أحد.

**ونلاحظ**: أن هذا التشريع قد ضمن لأصحاب الحق كامل حقهم، في

الإقتصاص وعدمه، بل إنه ترك لهم الخيار كذلك، حتى في حالة عدم اختيار العفو عن الجاني، فلم يفرض القتل على كل حال، بل إن لصاحب الحق أن يختار القصاص أو أخذ الدية من الجاني، دون أن يهمل السعي إلى المصالحة والحث على العفو، كما مرت الإشارة إليه، ليكون العفو، على فرض اختياره، صادراً من قرارة أنفسهم، الأمر الذي يحرك فيهم الحس الإنساني الكريم، ويدفعهم إلى السعي لتحصيل الكمالات الخلقية، دون ضغط أو أكراه، أو انتقاص شيء من حقوقهم.

**ومن المعلوم**: أن العمل الذي يقدم الإنسان عليه من تلقاء نفسه، بعد ترك جميع الخيارات المتعددة أمامه، دون أن يلزمه به أي قانون أو غيره، بل بدوافع إنسانية خالصة، إن هذا العمل أسمى في مراتب الإنسانية، وأنبل في مكارم الأخلاق، وأحق في نيل المدح والثناء، من العمل الذي يقوم به وهو مجبر عليه، أو مضطر إليه، بعد عدم إمكان البديل، بل في هذا الإختيار تظهر إنسانية الإنسان..

إن العفو، على فرض الإلزام به، يؤدي إلى: أن يكون المجرم في مأمن من العقاب، مما يسهل له التمادي في ارتكاب الجريمة والفاحشة، الأمر الذي ينعكس سلباً على المجتمع كله، وتتحكم فيه شريعة الغاب، ولا نظن أن هؤلاء القوم يرضون به، لما فيه من تضييع لحقوق الناس، ويصبح ما ادَّعوه من محبة وتسامح، مدعاة لإفساد المجتمع برمته.

وأما القسم الثاني، وهو ما تكون الجريمة فيه عامة ومؤثرة على المجتمع

البشري بشكل مباشر: فهو مما لا يمكن التساهل معه في أي حال من الأحوال، لأن ذلك يعني هلاك المجتمع واختلال نظامه، ولهذا كانت الأحكام مشددة إلى حد ما، صوناً له من الانحلال والفساد، إلا إذا اقتضت مصلحة أهم وأكبر عدم معاقبته، فقد ترك الشارع المقدس باب العفو مفتوحاً فيه كذلك، وجعله بيد حاكم المسلمين العادل، الذي يمكنه العفو طبقاً لضوابط محددة تفرض نفسها من أجل مصلحة المجتمع العامة.

إن الآيات القرآنية الشريفة، التي تدعو إلى العفو وتحث عليه كثيرة، ويكفي أن نذكر منها هنا، قوله تعالى:

**﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[(١)].

وقوله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾**[(٢)].

وقوله تعالى: **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾**[(٣)].

إن هذه الآيات الكريمة كافية في إثبات إرادة التسامي الروحي، عند الإنسان من تلقاء نفسه، بعد إثبات حقه، من دون أن يقع ضحية القهر والفرض.

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٢٢ من سورة النور.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

(٣) القرآن الكريم، الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

إن قوانين العقوبات التأديبية والإصلاحية لم ينفرد بها الإسلام، فقد ورد في نصوص العهد القديم كثير من التشريعات الآمرة بالقتل أو النفي عقوبة معلله ذلك: بأنه «لقطع مادة الشر من الشعب»، مما يدل على أن الغاية من سنها وتشريعها تحصين المجتمع من الفساد والإنحراف.

وكذلك وردت مثل هذه التشريعات في مجمل قوانين الدول المعاصرة والمتحضرة، ما يعني أنه إجراء ضروري ولابد منه.

بل لقد ورد التصريح به وبصورة أشد أيضاً في الكلمات المنسوبة إلى السيد المسيح «عليه السلام» نفسه، حيث يقول: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تقتل، ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم: كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم»[١].

**ومعنى قوله «أنه مستوجب الحكم»**: أنه يستحق العقوبة، وهي القتل في قانون العهد القديم، وظاهر أنه هو المراد بكلام السيد المسيح بقرينة استشهاده به، وهو كاشف عن أن دعوة المسيح أشد قساوة من دعوة التوراة والقرآن الكريم إن قلنا: أن العقوبة فيهما قاسية.

**بل نضيف هنا**: أن العقوبة فيهما متناسبة مع نوع الجريمة كماً وكيفاً، وأما في كلامه المنسوب إليه فإن العقوبة أشد وأقسى من الجريمة بما لا يخفى، إذ أي مناسبة تقتضي أن يكون مجرد الإغضاب باطلاً مستوجباً للقتل.

---

(١) إنجيل متى: ٥/ ٢١ ـ ٢٢.

وفي مقام بيان ما يمكن أن يكون تعليلاً لهذا الحكم القاسي، يقول: «فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك ولا يلقى جسدك كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضاءك ولا يلقى جسدك كله في جهنم»[١].

فإذا كانت العين واليد الخاطئتان تستحقان القلع حفاظاً على سائر أجزاء البدن من الهلاك، أفلا يستحق الجسد الإنساني كله أن يفتدى بقطع عضو من أعضائه فاسد، حفاظاً عليه من الهلاك، بمقتضى كلام السيد المسيح نفسه؟!

## الدعوى الفارغة

غير أن المسيحيين لم يلتزموا بذلك، وادَّعوا ـ من الناحية النظرية ـ: أن الدين منفصل عن شؤون الحكم والسياسة، وأن وظيفة الدين روحية خالصة، لا شأن لها بغير الروح، وقد يكون مستندهم في ذلك إلى ما قيل على لسان السيد المسيح «عليه السلام»: «مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن مملكتي ليست من هنا»[٢].

---

(١) إنجيل متى: ٥/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) إنجيل يوحنا: ١٨/ ٣٦.

إلا أن هذا الإعلان نظري فقط، كما أشرنا، والمسألة من الناحية العملية تابعة لظروف القوة والضعف ومقتضياتها، فتراه يتظلم ويدعو إلى المسألة والتسامح في مواطن الضعف، فإذا أحس ببعض القوة انقلب إلى محارب شديد، ومناوئ عنيد، إذ هو تارة يطرد الباعة من الهيكل بعنف ويقلب موائدهم، قائلاً لهم: «مكتوب بيتي بيت صلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص»[(١)]، ولم يكتف بطردهم، بل منعهم حتى من اجتياز الهيكل مع أمتعتهم[(٢)].

**وتارة أخرى**: يتعرض لمن يخالفه في أي أمر ولو كان حقيراً، بأقذع الشتائم وآلمها على النفس، وإن كان من أقرب المقربين إليه، وكان همه مصلحة المسيح نفسه، كما حدث مع بطرس، أعظم تلاميذه وأهمهم، فإنه لما سمع منه أن ابن الإنسان ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً ثم يقتل «فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب. لا يكون هذا، فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس»[(٣)].

والمفارقة الغريبة أن هذا الهجوم قد صدر منه مباشرة بعد المديح

---

(١) إنجيل متى: ٢١/ ١٢ ـ ١٣.

(٢) إنجيل مرقس: ١١/ ١٥ ـ ١٧.

(٣) إنجيل متى:١٦/ ٢١ ـ ٢٣.

المدهش الذي وجهه لبطرس، والمنحة الإلهية الكبرى التي منحه إياها، حين قال له: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ـ أي بطرس ـ أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات»[1].

سبحان الله! لعل مسيح الإنجيل لم يجد رجلاً صالحاً يأتمنه على مفاتيح السماوات، فاضطر أن يسلمها لشيطان، اللهم إلا أن تكون المحبة والتسامح المزعومان دافعه إلى ذلك، ولم يكتف بتمليكه للأرض، حتى أخضع له الإرادة الإلهية أيضاً، فأعطاه ملكوت السماوات ليتصرف في الوجود كيف يشاء.

ولا ندري ما إذا كانت هبته هذه عبارة عن رد جميل للشيطان الأكبر إبليس، الذي أخذه ليجربه في البرية «ثم أخذه إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن أنت خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع: إذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»[2].

وحاشى السيد المسيح «عليه السلام» طبعاً، فإنه أسمى مقاماً، وأعلى

---

(١) إنجيل متى: ١٦/ ١٨ ـ ١٩.

(٢) إنجيل متى: ٤/ ٨ ـ ١٠، وقد وردت هذه القصة في الأناجيل الأخرى أيضاً.

مرتبة من أن يتصف بهذه الصفات، التي يتنزه عنها كثير من الناس العاديين، إن امتلكوا بعضاً من نعمة العقل، فكيف بسيد عصره ونبي قومه!

وأما حديثه مع الكتبة والفريسيين فقد كان هو الآخر من القسوة والشدة، بحيث لم يترك أي باب من أبواب الحوار والتفاهم مفتوحاً معهم، فقد توعدهم بالويل والثبور في مختلف فقرات خطبته التي وجهها إليهم، حسبما ذكره إنجيل متى، كما نعتهم بأبشع الصفات والنعوت، فهم «مراؤون، قادة عميان، جهال وعميان، أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي، قتلة الأنبياء»[1].

وقال لهم ذات مرة: إنهم ليسوا أبناء إبراهيم، وإنما هم أبناء إبليس[2].

فإذا كان هذا حاله مع أقرب المقربين إليه، وكذلك مع بني قومه اليهود الذين لم يرسل إلا إليهم، حسب تعبيره، فلا يتوقع أن يكون حاله مع غيرهم من الأمم أحسن من ذلك.

فقد وردت قصة في الإنجيل تبين حقيقة الأمر، وتظهر احتقاره لهم، إلى حد يخرجهم فيه عن طور الإنسانية، ويلحقهم بالكلاب، إذ قصدته امرأة كنعانية، بعدما سمعت بقدرته على شفاء المرضى، وتوسلت إليه لكي يشفي ابنتها المريضة «ابنتي مريضة جداً» ، ومن المعلوم أن المضطر ضعيف

---

(١) إنجيل متى: ٢٣/ ١٣ ـ ٢٦.

(٢) إنجيل متى: ٨/ ٤٤.

أمام حاجته، خصوصاً إذا كانت ترتبط بفلذة الكبد وثمرة المهجة، «فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعنّي، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب، فقالت: نعم يا سيد. والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها»[1].

إن محاولته استغلال ضعفها وحاجتها، وانتزاعه الإعتراف الصريح منها، بأنها من كلاب اليهود، تتجلى بوضوح عند مقارنتها بما فعله مع قائد الجند الذي شفى له غلامه، وليس ابنه، قبل ذلك، وما ذلك إلا لأنه كان تحت إمرة القائد مائة رجل، الأمر الذي يخيف هذا الجوال بحسب الظاهر، فتراه يعرض نفسه ليكون في خدمته، مع أنه لم يكن يهودياً هو الآخر، فإنه «لما دخل يسوع كفرناحوم جاء إليه قائد مئة يطلب إليه، ويقول: يا سيد، غلامي مطروح في البيت مفلوجاً متعذباً جداً، قال له يسوع: أنا آتي وأشفيه، فأجاب قائد المئة وقال: يا سيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي. لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي»[2].

هذا مع أن اليهود في حينها كانوا في أكثر حالات الضعف والهوان، وقد كانوا ينتظرون مجيء المسيح بـ فار الصبر، لعله يخرجهم مما هم فيه من ذل وهوان، الأمر الذي يلقي ظلالاً من الشك حول صحة هذه القصة، إذ

---

(١) إنجيل متى: ١٥/ ٢١ ـ ٢٧.

(٢) إنجيل متى: ٨/ ٥ ـ ٨.

كيف يصح أن تعبر امرأة كنعانية ـ وهي من أمة ذات حضارة عريقة، ودولة مهمة في حينها ـ عن اليهود بأنهم أربابها.

اللهم إلا أن يكون ذلك من باب المماشاة له ومجاراته حتى تحقق أملها في شفاء ابنتها المريضة.

وكثيرة هي الأمثلة والشواهد الدالة على الوداعة والمسالمة، التي يتصف بها هذا الرجل في مواقف من هذا القبيل، وحاشا السيد المسيح «عليه السلام»، في أيام الضعف فقط، وأما في حالات الإحساس بالقدرة والقوة تنقلب الوداعة بطشاً، والمسالمة حرباً، وهو ما طبقته الكنيسة في تاريخها الطويل، كما سنرى بعضه.

## الدعوة إلى العنف

إذا نظرنا بموضوعية إلى مسألة العنف المزعوم، بعيداً عن العداء، ونية السوء، والخلفية المنحازة، رأينا أنها نسبت إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، لأن العقاب المسمى عنفاً، مبرر بحكم العقل والعقلاء، إن صدر لأجل الحفاظ على صالح المجتمع العام، وهو ما توافقت عليه كافة الأعراف الإجتماعية، والشرائع الإنسانية والإلهية، هذا إن صحت تسميته عنفاً، لأن غايته إقامة العدل بين الناس، بل لقد جعل الإسلام إقامة العدل إحدى غايات بعث الأنبياء، وإرسال الرسل، قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ

النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾[٢].

إن العدل الإجتماعي مطلوب لنفسه في الإسلام، وفي مختلف شؤون الناس، مع غض النظر عن كون الطرف الآخر طالباً للعدل أم لم يكن، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣].

وأما في حالات القتل غير المبرر فهو من أعظم الجرائم وأكبرها، فإذا كانت دوافعه غير شخصية، وإنما لإثارة الفتن وتحريك الأحقاد والنعرات بين الناس كانت جريمته أشد وأكبر.

ولقد أكد القرآن الكريم على خطورة القتل غير المبرر، حيث عدله بقتل الناس جميعاً، وفي مقابله بيّن أهمية إحياء النفس، قال تعالى:

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٢٥ من سورة الحديد.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

(٣) القرآن الكريم، الآية ٨ من سورة المائدة.

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[١].

بل إن السعي لإثارة الفتن بين الناس أعظم من القتل نفسه في الإسلام، مهما كانت دوافعه، قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٢].

وفي آية أخرى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٣].

**لقد بلغ من سماحة الإسلام**: أنه أمر المسلمين بإنصاف غيرهم، والإحسان إليهم، والبر بهم، ما لم يشهروا السيف بوجههم، ويعلنوا الحرب عليهم، قال تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٤].

وقد ساوى الإسلام بين المسلمين وغيرهم في الحقوق والواجبات، في الدولة الإسلامية، كما تدل عليه الآية المتقدمة ﴿لَا يَنْهَاكُمُ﴾، وكذا غيرها من الآيات الشريفة، ويكفي أن نشير إلى ما ورد في عهد الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» لمالك الأشتر لما ولاه على مصر.

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٣٢ من سورة المائدة.

(٢) القرآن الكريم، الآية ١٩١ من سورة البقرة.

(٣) القرآن الكريم، الآية ٢١٧ من سورة البقرة.

(٤) القرآن الكريم، الآية ٨ من سورة الممتحنة.

وكذلك الحال على مستوى العلاقات الزوجية، فقد ساوى المرأة الكتابية بالمسلمة في حقوق الزوجية، قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

ولقد اعترف بسماحة الإسلام في هذه المسألة بابا دو بولس، حين يقول: «ولم تكن الزوجات المسيحيات عند المسلمين العرب يجبرن على تغيير ديانتهن»[٢]، وليس ذلك إلا لأنهم تربوا على سماحة الإسلام ورفقه، فلا يحق للرجل المسلم أن يجبر زوجته الكتابية ويكرهها على الدخول في الإسلام.

## التسامح في المسيحية

وأما في المسيحية فعلى العكس من ذلك، فإنه رغم ما تقدم من قول المسيح: «مملكتي ليست من هذا العالم»، يتوجه إلى أصحابه مبيناً غايته التي جاء من أجلها، وذلك عندما أحس بالقوة، وعاش نشوة العظمة والقدرة

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٥ من سورة المائدة.

(٢) تاريخ كنيسة أنطاكية ص٥٥٧.

على التأثير، كاشفاً عن حقيقة أمره، فيقول لهم: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها»[١].

وأما لوقا فقد جاء تعبيره أشد قساوة وأصرح بياناً، حيث قال:

«جئت لألقي ناراً على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت، ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل، أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض.

كلا أقول لكم بل انقساماً، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين، واثنان على ثلاثة. ينقسم الأب على الابن، والابن على الأب. والأم على البنت، والبنت على الأم. والحماة على كنتها، والكنة على حماتها»[٢].

وظاهر: أنها دعوة للعنف غير مبررة، ولا تصلح لاجتماع الناس، ولا تفيد في خلاصهم وانتظام أمرهم، إذ ليس لها غاية سوى زرع الخلاف والنزاع، فهي بذر للفتنة والإنشقاق في أوصال المجتمع، على نحو لا يرجى معه أن تقوم له قائمة بعدها، إن وجدت أتباعاً لها وأنصاراً.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من شرذمة المجتمع، بل تعداه إلى حد

---

(١) إنجيل متى: ١٠/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) إنجيل لوقا: ١٢/ ٤٩ ـ ٥٣.

الدعوة إلى البغضاء والقطيعة بين أفراده، وكل ذلك عندما أحس بالقوة كما أسلفنا، فيقول:

«وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم: إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً»(١).

هذه هي المحبة التي يدعو إليها هؤلاء القوم، إذ لا يمكن للمرء أن يكون منهم، وهو محب لأهله وعشيرته، في مقابل الرحمة والرفق بالوالدين وضعاف الناس في المجتمع الإسلامي، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، وقد بلغت رحمة الإسلام حداً لا يجيز للمسلم أن يقول لأبويه كلمة «أف»، وإن جاهداه على أن يشرك بالله، فإنه مع هذه الدعوة إلى الشرك يلزمه معاشرتها بالمعروف، فقد قال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾(٢).

هذا بالإضافة إلى أن الإسلام لم يقابل بين محبة الأهل والعشيرة وبين حب الله تعالى، على نحو لا يمكن الجمع بينهما، كما في الكلام المنسوب إلى

---

(١) إنجيل لوقا: ١٤/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢٣ من سورة الإسراء.

السيد المسيح «عليه السلام»، إذ لا منافاة بينهما، كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

حيث عبرت الآية الشريفة بصيغة أفعل التفضيل «**أحب**»، والتي تعني المشاركة في أصل الحب وزيادة، فلم تمنع من حب المذكورات، بل غاية ما في الأمر: أنه لا ينبغي أن يكون حبها والتعلق بها أشد وأقوى من حب الله تعالى، إذ كيف يصح النهي عن أمر لا يتعلق بفعل الإنسان وإراداته، فإن الحب الذي يعني ميل القلب واندفاعه إلى تحصيل الكمال القهري في النفس الإنسانية.

ولهذا مهد تعالى لهذه القضية، بالنهي عن توليهم واتباع أوامرهم إن كانوا مشركين، وإن كان محباً لهم، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٢)، وشتان بين الأمرين عند من أعمل لبه.

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٢٤ من سورة التوبة.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢٣ من سورة التوبة.

## من مظاهر المحبة المسيحية

إن الكلام حول هذه المسألة يستدعي تقديم مقدمة تبين موقع الكنيسة في الحياة المسيحية، وأثرها في مجتمعهم، وكذلك موقع رجالها وسلطتهم، فنقول:

**يعتقد المسيحيون**: أن الكنيسة ظل الله على الأرض، وأنها تملك أسرار الدنيا والدين، وأن قراراتها صحيحة ومقدسة ومعصومة، بمعنى: أنها نهائية وغير قابلة للنقض ولا للخطأ، لأنها قرارات إلهية.

**وهم يستندون في ذلك**: إلى بعض العبارات الواردة في الإنجيل، إذ هم يربطون نشأتها وتأسيسها، إلى كلام السيد المسيح «عليه السلام»، الذي ورد في مناسبات مختلفة، ومراحل متعددة، من قبيل قوله لبطرس: «وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ـ أي بطرس ـ أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات»[١].

**وقال مثله لتلاميذه الاثني عشر، بعد أن بين لهم**: أن من يخطئ يعاتب «فإن لم يسمع من الشهود فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار، الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على

---

(١) إنجيل متى: ١٦/ ١٨ ـ ١٩.

الأرض يكون مربوطاً في السماء. وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»[١].

**ويتابع بيان القداسة والعصمة هذا، فيقول:** «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم»[٢].

ولقد أكمل المسيح طور التأسيس هذا، بعد قيامته ولقائه مع تلاميذه، حيث: «تقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم كل ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»[٣].

إلا أنه لم يكتمل طور التأسيس فعلاً، إلا في يوم العنصرة ـ وهو يوم الخمسين بعد ارتفاع السيد المسيح ـ فقد كان التلاميذ مجتمعين في أحد البيوت «وصار بغتة من السماء كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ البيت كله حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة أنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون

---

(١) إنجيل متى: ١٨/ ١٦ ـ ١٨.

(٢) نفسه: ١٨/ ٢٠.

(٣) نفسه: ٢٨/ ١٨ ـ ٢٠.

بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح القدس أن ينطقوا.. بعظائم الله»[١]، بينما «كان آخرون يستهزئون قائلين: إنهم قد امتلئوا سلافة»[٢]، أي أنهم سكروا من كثرة شرب الخمر.

وبهذا أثبت المسيحيون قداسة الكنيسة وعصمتها، وأنها مؤيدة من السيد المسيح على مدى الأزمنة.

وقد ورد في بيان عقائدهم في الكنيسة عبارات، من قبيل: أنها «جسد المسيح، جسد المسيح السري، أنها مقدسة، ومعنى القداسة: أنها سر اتحاد الله بالبشر، وأنها في عمق كيانها ليست سوى العالم السائر نحو تجليه في المسيح، وأنها حياة الله التي ظهرت للعالم في يسوع المسيح، ولذلك فهي رسولية».

وفي دستوره العقائدي للكنيسة، أظهر المجمع الفاتيكاني الثاني ارتباط الأساقفة بالرسل، فقال:

«إن هذه المهمة الإلهية التي أناطها المسيح بالرسل يجب أن تستمر حتى منتهى العالم، بما أن الإنجيل الذي يجب أن يسلموه للكنيسة في كل زمان، مبدأ الحياة كلها.. فهكذا إذاً تسلم الأساقفة خدمة الجماعة الراعوية، يعاونهم الكهنة والشمامسة. ويرأسون بالنيابة عن الله، القطيع الذي هم

---

(١) أعمال الرسل: ٢/ ٢ ـ ١١.

(٢) نفسه: ٢/ ١٣.

رعاته بسلطة التعليم، وكهنوت العبادة المقدسة، وولاية الحكم.. فلذلك يعلم المجمع المقدس أن الأساقفة يخلفون الرسل، بوضع إلهي، على رعاية القطيع. فمن سمع منهم سمع من المسيح، ومن احتقرهم احتقر المسيح واحتقر الذي أرسل المسيح».

إن عصمة الكنيسة المفترضة إنما هي بعصمة أساقفها، وعلى رأسهم أسقف روما (البابا) كما حددها المجمع الفاتيكاني الأول وثبتها المجمع الفاتيكاني الثاني، كما مر أعلاه، فهي «تتسع اتساع مستودع الوحي الإلهي بالذات الذي يجب الحفاظ عليه بقداسة وعرضه بأمانة. وهذه العصمة يتمتع بها الحبر الروماني، رئيس هيئة الأساقفة، بحكم مهمته بالذات.. لذلك يقال: بحق عن التحديدات التي يعلنها أنها غير قابلة للتعديل».

وقد عمم حكم العصمة والقداسة هذا ليشمل سائر الأساقفة، بل هو يشمل الشعب المسيحي كله[١].

ومعنى هذه البيانات الفاتيكانية والإنجيلية كذلك: أن كل ما يصدر عن البابا، بل وعن غيره من الأساقفة يمثل الديانة المسيحية حق التمثيل.

وإذا ضممناها إلى فكرة المحبة التي يتحدثون عنها، نتج عنه أن كل فعل يصدر منهم، وكل قول ينطقون به، ناشئ عن محبة الله للإنسان، ولا

---

(١) حول الكنيسة وعصمتها وعصمة الأساقفة والشعب، راجع، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر ج٢ الباب الثالث: الكنيسة.

يمكن للمحبة أن تجتمع مع العداوة والبغضاء، بعيداً عن المنافسة والحقد والضغينة، وهذا هو ما يحاول الأساقفة والكهنة أن يبثوه بين الناس، ويتمسكون بالقول المنسوب إلى السيد المسيح «عليه السلام»: «سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات»(١).

رغم تهافت هذه الدعوة وتناقضها، وعدم ثبوتها أمام النقد والتحليل، إلا أننا لن نتوقف عندها، بل سنحاول استنطاق الحركة المسيحية في تاريخها العملي، بعد الفرا من دعوى عصمة الكنيسة، لنتبين صحة ما أشرنا اليه، من أن دعوى المحبة المزعومة، إنما يتحدثون عنها في حالات ضعفهم، ولكنهم عندما يحسون بالقوة والعزة، تنقلب المحبة إلى ضدها، ويتحول الخروف إلى ذئب ضار، لا يرحم ولا يتهاون في الانقضاض على فريسته.

وهذا الكلام سار على كل من الكنيسة والشعب المسيحي كله. إذ هم يختصرون المسيحية كلها بعنوان المحبة، والانقضاض عليها يعني الانقضاض على المسيحية من أساسها.

إن تاريخ المسيحية حافل بمظاهر المحبة الدموية، مليء بنماذج التسامح المرعب، لم يخل منها عصر من عصورها، طيلة العشرين قرناً التي مرت على

(١) إنجيل متى: ٥/ ٤٣ ـ ٤٥.

المسيحية منذ نشأتها.

**ولقد أشرنا:** إلى أنها بدأت ـ حسب الأناجيل ـ مع السيد المسيح نفسه، وحاشاه طبعاً، حيث أبرز المحبة ودعا إليها في حالات ضعفه وقلة حيلته أمام مخالفيه، وتأسى به الحواريون والرسل في هذه السنة، ومن بعدهم الأساقفة والكهنة، بل الشعب المعصوم كله.

وهنا، لا يسعنا إلا أن نسلط الضوء على بعض مظاهر المحبة المزعومة، متمثلة بالعنف والحروب وإلقاء الحرم الكنسية بعضهم على بعض، بإشارات عابرة، دون تفصيل في هذه الحوادث، لأن ذلك لا يسعه مثل هذا المقام، آخذين بعين الإعتبار كلام المسيح المزعوم: «أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم»، ونحاول سردها كما ذكرتها المصادر التاريخية، دون تعليق:

١ ـ إنه لما أراد بولس أن يدعو سرجيوس والي بافوس إلى المسيحية قاومه عليم الساحر، فقال بولس لعليم هذا: «أيها الممتلئ كل غش وكل خبث، يا ابن إبليس، يا عدو كل بر، ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة، فالآن هو ذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين، ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده»[١].

ولما أراد بولس وبرنابا أن يجولا في المدن التي سبق وتنصرت على يديهما، فأراد برنابا أن يأخذا معهما مرقس، إلا أن بولس لم يرض بذلك

---

(١) أعمال الرسل: ١٣/ ٩ ـ ١١.

«فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر» ولم يلتقيا بعدها[١].

والخلافات بين بولس والرسل، وبين التلاميذ أنفسهم كثيرة جداً، مبثوثة في مختلف فصول العهد الجديد.

هذا كله، في الوقت الذي لم يكن فيه للرسل، ولا للمسيحيين عموماً أي حول أو قوة، حينما كانوا مضطهدين ومنبوذين، بل وملاحقين من قبل اليهود والرومانيين على السواء. وقد فرقتهم النزاعات العقائدية إلى مذاهب شتى في القرون الثلاثة الأولى، وتبادلوا التهم بالهرطقة والضلال، مما أدى إلى تهديد الكيان المسيحي كله.

وعندما أعلن إمبراطور بيزنطية قسطنطين تنصره في حدود العام ٣١٤م. وفرض الديانة المسيحية على الإمبراطورية كلها، ورأى النزاعات بين المسيحيين، أمر بانعقاد مؤتمر نيقيا سنة ٣٢٥م. للبحث في أخطر ظاهرة رآها، وهي دعوة آريوس أسقف الإسكندرية، والتي انتشرت انتشاراً مذهلاً، وصارت تشكل خطراً حقيقياً على الكنيسة، وعلى المعتقدات التي آمن بها.

**وكان من نتائج هذا المؤتمر**: أن ألقيت الحرم الكنسية على آريوس، واعتبرت عقائده وآراؤه هرطقة وضلالاً، وأمر قسطنطين بإحراق جميع

(١) أعمال الرسل: ١٥/ ٣٦ ـ ٣٩.

كتبه وقتل من يخبئ شيئاً منها[١].

وكان قد مهد لذلك بإصدار أمر يطلب إجراء المذاكرة بحرية كاملة، بين آريوس القوي الحجة وبين منافسيه، وضغط من خلال مستشاره هوسيوس أسقف باكوردوبا حتى تعتمد الصيغة التي أصبحت «قانون نيقيا»، أو «قانون الإيمان»، وعندما لمس من نفسه القدرة على اعتمادها نفى آريوس وأنصاره الرئيسيين[٢].

ومن جملة نتائج هذا المؤتمر المقدس إعدام بعض الأساقفة استناداً إلى قراراته[٣].

٢ ـ وأما التاريخ الدموي الذي شاركت فيه البابوية (المعصومة) في الحروب التي نشبت بين المسيحيين أنفسهم، فلا تحتاج إلى كثير بيان، ذلك أن مختلف المصادر التاريخية التي أرخت للعصر الوسيط، قد تعرضت بالتفصيل لاشتراك الأساقفة فيها، والدور الذي لعبته الكنيسة، سواء في الحرب بين اللاتين والغرب وبين البيزنطيين في الشرق، أو بين الغربيين أنفسهم، حيث تواطأ البابا والأساقفة مع شارلمان، وأعانوه في حربه ضد اللمبارديين.

---

(١) تاريخ الكنيسة (لوريمر) ج٣ ص٥٠.

(٢) تاريخ الحضارات العام ج٢ ص٥٦٨.

(٣) تاريخ الحضارات العام ج٤ ص١٩٤.

وكان من نتائجها أن وهب الإمبراطور بيبان بعض المقاطعات لتشكل نواة دولة الفاتيكان سنة ٧٥٤م. هذه الدولة التي ظلت عرضة للحروب والمضايقات حتى القرون الأخيرة، نتيجة تحالفات البابا والأساقفة، ودعمهم الدول بعضها على بعض في حروبها الداخلية.

ولقد وصل الحال بالسلطة البابوية أنها صارت تدعي سلطة نصب الأباطرة وعزلهم، وتحرض الناس على القيام ضدهم، إن هم خالفوا أوامرها[١]، وتقدم بعض ما يدل على ذلك في نصوص الفاتيكان، نذكر هنا كشاهد عليه: ما حدث بين البابا غريغوري السابع وبين هنري الرابع ملك ألمانيا، بعدما دب الخلاف والنزاع بينهما، فأقال الملك البابا بواسطة الأساقفة الألمان في كانون الثاني من عام ١٠٧٦م، مما أثار حفيظة البابا وأصدر حرماً كنسياً بعد ذلك بثلاثة أسابيع، يمنعه بموجبه من ممارسة مهامه ويأمر جميع المسيحيين بعصيانه، مما أثار فتنة كبيرة في ألمانيا، كانت لها تبعات وآثار خطيرة، وحرباً مدمرة بين الإمبراطور ودولة البابا[٢].

وفي تجديده للكنيسة سنة ١٥٠٦م يقول البابا بوينغا سيوا الثامن:

«فالكنيسة لها رئيس واحد هو السيد المسيح، وممثل المسيح على الأرض، خليفة القديس بطرس. فالكنيسة تجمع في يدها السيفين الروحي

(١) تاريخ الحضارات العام: ج٤ ص١٩٤.

(٢) موسوعة تاريخ أوروبا العام: ج١ ص٤١٢.

والزمني. فالبابا يحتفظ بالسيف الروحي، ويعهد بالسيف الزمني إلى الملوك الذين لا يجوز لهم استعماله إلا وفقاً لإرادة البابا، الذي يقرر سلوكهم لما فيه خير الكنيسة»[١].

أما إصدار الحرم الكنسية على بعض الأساقفة فكثير، نذكر هنا ما أصدره البابا سنة ١٥٢١م من حرم ضد لوثر (رائد حركة الإصلاح الكنسي) لاعتراضه على تصرفات البابا وتفرده في شؤون الكنيسة، واحتجاجه على مسألة صكوك الغفران الشهيرة، وهو الذي حمل الإمبراطور في مؤتمر وورمس على إصدار أمره بإلقاء الحجر على لوثر[٢].

**ومن مظاهر المحبة الدموية هذه:** الحرب الدينية المقدسة التي وقعت بين اللاتين والبيزنطيين ـ وهم مسيحيون جميعهم ـ وذلك عندما حرض البابا لاون التاسع اللاتين ضد البيزنطيين، واعتبرهم هراطقة، فكال البيزنطيون بالكيل الذي كيل لهم فيه، وردوا الاتهامات على الغربيين، وكان سبب ذلك الحقد المتبادل، والتحاسد بين البابا وبين بطريرك بيزنطية[٣].

وفي حرب النورمان والبيزنطيين ـ وهي حروب مسيحية داخلية أيضاً ـ أصدر بطريرك تسالونيكا أمراً بتحويل جميع ثروات الكنائس

---

(١) تاريخ الحضارات العام: ج٤ ص٨٧.

(٢) المصدر نفسه ص٨٧.

(٣) موسوعة تاريخ أوروبا العام ج١ ص٣٦٨.

الذهبية والفضية والأيقونات إلى عملات، لتأمين الدفاع عن الإمبراطورية بوجههم، مما دفع الكثير من العائلات لبذل ما تملكه من ذهب وفضة لأجل ذلك[1].

٣ ـ ويمكن أن نرى مظاهر المحبة الكنسية والتسامح المسيحي، في تحريض الأساقفة للإمبراطور البيزنطي قسطنطينوس (ابن قسطنطين) على محاربة الوثنيين، ومنعهم من إقامة شعائرهم، وهدم دور عبادتهم وتحويلها إلى دور ألعاب وملاهي، ولقد كتب فرينكوس ـ وهو أحد أعظم الكتاب المسيحيين ـ في تحريضه للأباطرة، يقول:

«أيها الأباطرة القديسون يجب أن تقطعوا عليهم الطريق بالتشريع الصارم. فمن أجل هذه القضية منحكم الله الإمبراطورية، واقتادكم من نجاح إلى نجاح. انزعوا انزعوا بدون خوف الأوثان زينة المعبد. أرسلوا هذه الآلهة إلى مكان سك النقود، واتخذوا كل ممتلكاتها بوضع اليد»[2].

٤ ـ وأما المحبة الدموية، والتسامح المرعب، اللذين أبرزتها الكنيسة المعصومة هذه مع المسلمين، ببابواتها وأساقفتها المعصومين أيضاً، فهي مما يندى لها جبين الإنسانية خجلاً، ففي ما بين القرن الثامن والتاسع حصل

---

(١) العلاقات السياسية والكنسية بين الغرب اللاتيني والشرق البيزنطي في العصور الوسطى ص٦٢.

(٢) تاريخ الكنيسة (لوريمر) ج٣ ص٦٩.

تفاهم بين أمفليا وبين المسلمين، فتدخل البابا يوحنا الثامن ليمنع تحقيق التفاهم، وفي عام ٩١٠ ـ ٩١٦م. يحاول البابا يوحنا العاشر بمعاونة البيزنطيين أن يطرد المسلمين من بلادهم، غير أنه لم يتم لهم ذلك إلا في أواخر القرن العاشر[١].

وبلغت المحبة الدموية، والتسامح المرعب مع المسلمين ذروتهما في الحروب الصليبية، وكشفت القناع عن الوجه الحقيقي للأساقفة والكهنة فضلاً عن البابوات.

لقد بدأ التفكير في الحملات الصليبية منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، حينما أحس المسيحيون ببعض القوة، فقد دعا البابا سلفستر الثاني إلى حملة صليبية لإخراج المسلمين من بيت المقدس، وانطلقت بالفعل حملة فاشلة سنة ١٠٠١م، ثم تبعه البابا غريغوري السابع بالدعوة إلى مثل ذلك، وقال: «إن تعريض حياتي للخطر في تخليص الأماكن أفضل عندي من حكم العالم بأسره».

**ألف**: وقد كانت هذه الدعوات بمثابة التمهيد للبابا أوربان الثاني، الذي دعا إلى حرب هجومية ضد الإسلام، ونظم بالفعل وقاد الحملة الصليبية الأولى بواسطة أحد مساعديه[٢]، بعد أن عقد مؤتمراً في مدينة كلير

---

(١) موسوعة تاريخ أوروبا العام ج١ ص٣٤٣.

(٢) موسوعة تاريخ أوروبا العام ج١ ص٤٦١.

مونت الفرنسية سنة ١٠٩٥م ثم خرج إلى الناس المجتمعين خارج قاعة المؤتمر، وخطب فيهم خطبة حماسية ألهب فيها مشاعرهم، وكان مما قاله فيها:

«يا شعب الفرنجة يا شعب الله المحبوب المختار.. يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخر بالمجد في القتال، وبالبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم. ألا فليكن لكم من أعمال أسلافكم ما يقوي قلوبكم ـ أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم ـ فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا، الضريح الذي تمتلكه الآن أمة نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة لوثت ودنست..

**وأضاف البابا:** ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقمم الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، ويلتهم بعضكم بعضاً وتتحاربون، ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الأهلية.

طهروا قلوبكم من الحقد، واقضوا على ما بينكم من خصام، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنتم.

إن القدس أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج. إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم ألا فهبوا لإنقاذها، وقوموا

بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يفنى في ملكوت السماوات».

ثم أخذ يجول في سائر المدن، داعياً إياها بمثل هذه الدعوة، ملهباً مشاعرها[١]، مقدماً للمشتركين فيها من الضمانات ما لم يكونوا يحلمون به من الغفران، وعدم دفع الضرائب، والحفاظ على ممتلكاتهم، وغير ذلك من المغريات.

وتحركت الحملة بالفعل، فحاصر الصليبيون أنطاكية، ولما لم يقدروا عل دخولها عنوة، لجأوا إلى الحيلة والخديعة، والرشوة وشراء الذمم، فلما دخلوها ونهبوها، أعملوا السيف في رقاب المسلمين من سكانها وقتلوهم[٢].

ولما وصلوا إلى معرة النعمان واحتلوها قتلوا ما يزيد على مائة ألف من أهلها المسلمين، وسبوا الكثير منهم[٣]، وأضرموا فيها النار[٤]، وبلغ من نكايتهم وبطشهم بأهلها، ما سجله المؤرخ الفرنجي راول دي كين في اعترافه، قائلاً: «كان جماعتنا في المعرة يغلون وثنيين بالغين بالقدور

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ص٢١ ـ ٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ ج١٠ ص٢٧٤ ـ ٢٧٥، وتاريخ أبي الفداء ج٢ ص٢١٠.

(٣) المصدر نفسه ص٢٧٨، والحروب الصليبية كما رآها العرب ص٦٣، عنه، وتاريخ ابن خلدون ج٥ ص١٨٤.

(٤) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج٢ ص٢٢٧.

ويشكّون الأولاد في سفافيد ويلتهمونهم مشويين»[١].

وعندما دخلوا بيت المقدس، بعد حصار دام حوالي أربعين يوماً، أعملوا السيف في رقاب أهلها دون تمييز بين سن أو جنس، فكانت مذبحة وصفها مصدر لاتيني قائلاً: إن النظر كان يقع على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام في الطرق والساحات العامة[٢].

وبلغ عدد الذين قتلهم الصليبيون في المسجد الأقصى أكثر من سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزهادهم، حسب ما ذكره ابن الأثير[٣]، وغيره من المصادر، ونقل فيليب حتي عن مصدر أرمني أنه قدرهم بـ ٦٥ ألفاً[٤].

وقد أكثروا من القتل والنهب والسلب والسبي، في كل مدينة دخلوها، كما هو مبثوث في مختلف المصادر التاريخية.

حقاً، إنه تسامح مرعب، ومحبة دموية!!

---

(١) الحروب الصليبية كما رآها العرب ص٦٣.

(٢) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج٢ ص٢٢٩، وابن تيمية: حياته ـ عقائده ص٣٥ عنه.

(٣) الكامل في التاريخ ج١٠ ص٢٨٣، وتاريخ ابن خلدون ج٥ ص١٨٤، وتاريخ أبي الفداء ج٢ ص٢١١.

(٤) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج٢ ص٢٢٧.

**باء**: وأما الحملة الصليبية الثانية فقد دعا إليها البابا يوجين الثالث عام ١١٤٥م، بعد سقوط مدينة الرها بأيدي المسلمين وانتزاعها من البيزنطيين، ولم يحرك البيزنطيون ساكناً، واستغل هذا البابا (المعصوم أيضاً) شباب ملك فرنسا لويس السابع، الذي لم يزد عمره حينها على خمسة وعشرين عاماً، الذي أراد أن يعلن توبته وندمه، عما فعله من إحراق مدينة فتري[١].

ولكن هذه الحملة فشلت وانهزم الصليبيون فيها.

**جيم**: وأما الحملة الثالثة، فقد ساهم في الإعداد لها وتحريكها، عدد من البابوات على التوالي، فبعد انتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين وما تلاها من سقوط المدن، بما فيها بيت المقدس، بأيدي المسلمين، علم البابا أوربان الثالث بذلك، وكان مريضاً، فلم يستطع تحمل الصدمة فمات سنة ١١٨٧م. وتولى الكرسي البابوي بعده البابا غريغوري الثامن، الذي أرسل إلى حكام أوروبا يحثهم على إرسال الدعم إلى الصليبيين، ولكنه مات بعد شهرين، فتولى البابا كليمنت الثالث وأرسل مبعوثيه إلى كافة الممالك، يدعوها إلى المشاركة في الحملة الثالثة، واستطاع أن يجمع فيها ما لم تستطع جمعه أي من الحملات الصليبية الأخرى، فقد اشترك فيها أباطرة ألمانيا وفرنسا وإنكلترا[٢].

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ص٧٢.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية ص١٤٧ ـ ١٤٨.

كما أرسل أسقف بانياس مبعوثاً من قبل بطريرك أنطاكية، وحمله خطاباً إلى ملك إنكلترا هنري الثاني يخطره بالكوارث التي حلت بالصليبيين، ويدعوه فيها للتوجه إلى بلاد الشام. وذهب جوسياس رئيس أساقفة صور إلى أوروبا ليطلب مساعدة الأوروبيين ونجدتهم[١].

**دال:** وأما الحملة الرابعة فقد تحمل أعباء الدعوة إليها البابا أنوسنت الثالث، الذي عمل على تجميع أوروبا، التي أنهكتها النزاعات الداخلية، وحل خلافاتها بغية سيطرته على جميع شؤون السلطة الدنيوية، والحملة على بلاد المسلمين.

فقد بدأ عهده بالكتابة إلى أهل البندقية يأمرهم فيها ألا يبيعوا أو يتبادلوا مع العرب المواد الإستراتيجية كالسفن والسلاح والحديد وغير ذلك من المواد ذات التأثير الفعال في الحروب، وإلا تعرضوا لغضب الكنيسة وتوقيع أشد العقوبة عليهم.

ومن ناحية أخرى، أرسل إلى بطريرك بيت المقدس طالباً تزويده بكل ما يمكنه عن ممالك المسلمين وقلاعهم وحصونهم وجيوشهم وعدتهم وغير ذلك. ولم يتوان هذا البطريرك في تزويده بأخطر الأمور وأدق التفاصيل عن كل ما يتعلق بالبلاد والعباد.

ولكن هذه الحملة فشلت، نظراً لما كانت ترزح أوروبا تحته من نزاعات

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ص١٥٢ ـ ١٥٣.

داخلية، ولم يفلح البابا في إرسال الحملة الرابعة أصلاً، ولكنه نجح في السيطرة على مقاليد الأمور في أوروبا، بحيث صار السيد الأوحد الذي لا منازع له، مما هيأ له الجو والفرصة للدعوة إلى الحملة الخامسة[١].

كما أن من أسباب فشل هذه الحملة هو الحرب التي كانت ملتهبة في إسبانيا بين المسلمين والمسيحيين، والتي دعا إليها البابا أنوسنت الثالث نفسه عام ١٢١١م لطرد المسلمين وإبادتهم منها، فلم تتمكن إسبانيا من تقديم الدعم لحملته هذه[٢].

**هاء**: أما الحملة الصليبية الخامسة: فقد أعد لها البابا أنوسنت الثالث، وسائر رجال الكنيسة، بكل ما أوتوا من قوة ومال، إذ تداعى مختلف الأساقفة ورجال الدين، من كافة أرجاء أوروبا، وشاركهم في ذلك عدد من أساقفة الشرق أيضاً، وعقدوا مجلس اللاتيران الكنسي سنة ١٢١٥م، والذي يعتبر أهم مجمع كنسي بعد مجمع نيقيا سنة ٣٢٥م، ثم أرسل البابا مندوبيه إلى جميع ملوك وممالك أوروبا يحثهم على دعم حملته هذه بكل إمكانياتهم.

ولأجل تمويل هذه الحملة قدم البابا ثلاثين ألف جنيه، وثلاثة آلاف مارك فضي، كما فرض على نفسه وعلى كافة الكرادلة اللاتين أن يقدموا عُشر

(١) تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٣٨.

دخلهم لصالح هذه الحملة، أما باقي الطوائف الدينية فيتحملون ١/٢٠ من دخلهم. كما أمر الذين سوف لا يذهبون مع الحملة أن يقدموا مصارفات المحاربين مدة ثلاث سنوات، وعهد بأمر الصرف على الحملة إلى بطريرك بيت المقدس.

وأما الغفرانات التي وزعها البابا على المحاربين فقد زادت على سابقاتها في شمولها وعمومها لإعفاءات مادية، وحماية لأملاكهم، ومغفرة لخطاياهم، حتى وعدهم بغفران الخطايا لمجرد حمل الصليب.

ومات البابا أنوسنت قبل بدء الحملة بالحركة نحو الشرق فعلاً سنة ١٢١٦م، وخلفه البابا هونوريوس الثالث الذي سار على خطى سلفه في الإعداد للحملة وقيادتها.

ولقد فشلت هذه الحملة في تحقيق أهدافها كسابقاتها، رغم الإعداد والتهييج البابوي اللذين رافقاها[١].

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن الحملات الصليبية، مع العلم أن الحملتين الصليبيتين السادسة والسابعة كانت بتوجيه ودعم الكنيسة أيضاً، واللتان قد فشلتا بدورهما في تحقيق أهدافهما، وبه انتهت الحروب الصليبية عسكرياً، لتبدأ الحرب ضد الإسلام عن طريق آخر، وهو الاستشراق والبعثات التبشيرية المغلفة بغلاف العلم والثقافة تارة، والخدمات

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية ص ٢٢٣ ـ ٢٧٦.

الإجتماعية والإنسانية تارة أخرى.

٥ ـ وإذا انتقلنا إلى عصر النهضة الأوروبية، ولاحظنا عنف الكنيسة ضد العلم والعلماء، وضد كل من يخالف مقرراتها، وإن كان من رجالها، من خلال محكمة التفتيش، لوجدناه لا يقل وحشية عن الحروب الصليبية نفسها.

لقد تأسست محكمة التفتيش في العصر الوسيط، للبحث عن الهراطقة ومحاكمتهم، وأوضح مجمع فيرونة (عام ١١٨٣م) الأسس التي بنيت عليها هذه المحكمة.

وفي سنة ١٤٥٢م أعاد البابا بولس الثالث فعاليتها، ووضعها تحت سلطته ورقابته، وتتألف لجنة المحكمة من ستة كرادلة يرأسهم البابا نفسه.

ولم تكتف هذه المحكمة بمحاربة الإصلاح الديني ـ الذي اعتبرته أخطر هرطقة تواجهها الكنيسة ـ بل أرادت أن تخنق الحرية العلمية والفلسفة كذلك[١].

ويكفي هنا أن نذكر ما تعرض له غاليلو وكبلر وغيرهما من العلماء، من تعذيب وإعدام، وغير ذلك من أشكال العنف، حتى طال التحريم والمنع كتب ديكارت نفسه، وكل ما رأت الكنيسة أنه يخالف عقائدها، «وأصبحت محكمة التفتيش ضرباً من الإرهاب كادت تبلغ وحشيته في

---

(١) تاريخ عصر النهضة الأوروبية ص ٢٠٠.

روما ما بلغته في أسبانيا»[١] حسب تعبير ديورانت.

وينقل ديورانت فقرة من كلام لكاتب وصفه بأنه: «مؤرخ كاثوليكي عظيم»، يقول فيها:

«كان البابا العجول السريع التصديق (أي بولس الرابع) يعير أذناً صاغية لكل اتهام ولو كان شديد السخف.. وكان رجال محكمة التفتيش الذين لم يفتر البابا عن حضهم يشمون الهرطقة في حالات كثيرة ما كان المراقب الهادئ الحذر ليكشف فيها أثراً للهرطقة.. وحرض الحاسدون والمفترون على بذل الجهد في تسقط الكلمات المريبة من شفاه رجال كانوا عمداً راسخة للكنيسة ضد المبتدعين، وعلى تلفيق تهم الهرطقة لهم.. وبدأ عصر إرهاب فعلي ملأ روما كلها بالخوف»[٢].

**ويقول هذا البابا المعصوم**: «لو أن أبي ذاته كان مهرطقاً لجمعت الحطب لحرقه»[٣]، وقد أحرق بالفعل رجالاً في الميدان المواجه لكنيسة المينرفا»[٤]، ووصلت مثل هذه التهم، والمحاكمات، والتعذيب، والقتل، إلى رجال الكنيسة أنفسهم، حتى قال هذا البابا: «إن مجمع الكرادلة ـ وهم

---

(١) قصة الحضارة ج٢٧ ص ٢٣٨.

(٢) قصة الحضارة ج٢٧ ص٢٤١.

(٣) قصة الحضارة ج٢٧ ص٢٤٢.

(٤) قصة الحضارة ج٢٧ ص٢٤٢.

معصومون أيضاً كما تقدم ـ نفسه سرت إليه دعوى الهرطقة»[١].

أرأيت المحبة الدموية، والتسامح المرعب؟!..

٦ ـ وأما في العصر الراهن فيكفي إلقاء نظرة على كتاب أسرار الفاتيكان لـ: «ليوبولد ليدل» وهو رجل نمساوي وصل إلى رتبة القنصل العام لبروندي، وكان موظفاً لدى الفاتيكان بالمافيا، وإتجارهم بالسلاح، والمخدرات، والعملات المزيفة، وعرض عليه كاردينال من كرادلة الفاتيكان مبلغ ٦٢٥ مليون دولاراً، وبعد افتضاح أمره عرض عليه اللجوء إلى الباراغواي بدل المال، ثم بعد اعتقاله تنكر له الفاتيكان، واختفت كل الوثائق التي كانت بحوزته من بيته، والتي تثبت علاقته بالكنيسة الأم، بعدما عبث رجال الشرطة بمحتويات البيت، وفي نهاية المطاف يموت ثلاثة من شهود الإثبات الذين كانوا على علاقة بليدل في ظروف غامضة.

وبعد احتلال العراق من الأمريكيين والبريطانيين في هذه الأيام، نشطت حركة التبشير المسيحي في العراق، عبر الطرق الملتوية وإثارة الفتن والأحقاد بين أهله، للوصول إلى غاياتهم تلك.

فقد ورد في البيان الختامي للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، بعد اجتماعه الأخير في مكة المكرمة: «لحظ المجلس تسلل بعض المنظمات المغرضة في العراق ومنها منظمة صهيونية وأخرى تنصيرية تقوم

---

(١) قصة الحضارة ج٢٧ ص٢٤١.

بتنفيذ برامج تسعى إلى إفساد الشباب وإضعاف المشاعر الإسلامية والوطنية في نفوسهم.

**ويضيف البيان**: إن هذه المنظمات «تعمل على التدخل في شؤون العراق وتأجيج نيران الفتن بين فئات شعبه واستغلال الأوضاع البائسة التي تعم أنحاءه لتحقيق مصالح تتعارض مع مصالح شعب العراق»[١].

**إن ما ذكرناه هنا**: ليس إلا نزراً يسيراً مما حفظه التاريخ من مآثر الكنيسة في العنف والإرهاب، وما هو إلا قطرة في بحر الدماء التي سفكت، والعيون التي أبكيت، في تاريخها الطويل، فلم نتعرض إلى حروب البيزنطيين مع اللاتين، ولا للحروب الدينية في أوروبا، والتي دامت قرناً من الزمن، وحرب الثلاثين سنة، وكذلك الحروب الدينية التي ما زالت مستعرة في إيرلندا حتى اليوم، وكذلك حروب الإبادة، التي يتعرض لها المسلمون في البوسنة، لأنهم مسلمون فقط، وغيرها كثير جداً، مما يحتاج بيانه إلى مجلدات خاصة به.

بعد كل ما تقدم، هل يصح ما يقوله هؤلاء، من دعوة المسيحية إلى المحبة والتسامح، ودعوة الإسلام إلى العنف والقتل؟!

حقاً إن أمر هؤلاء القوم عجيب!.

---

(١) جريدة المستقبل اللبنانية بتاريخ ٢١ أيلول ٢٠٠٤.

# كرامة المرأة

٤ ـ قال في الإشكال المرقم بالرقم (٤): «إلى جانب ما تقدم فإن الإسلام يميز بين الرجل والمرأة ويعطي الرجل حق الزواج من أربع.. هكذا دون أدنى اعتبار لكرامة وإنسانية المرأة الزوجة».

**أقول:**

لقد كثر الحديث عن هذه القضية، والعزف على وترها، دون تعمق وتدبر في حقيقة الأمر، ولا نريد أن نقول: إن هذا ناشئ عن سوء نية وخبث طوية، بل نقول: هو على الأقل يدل على جهل ذريع بالإسلام، وعدم تدبر بحقائقه، بل هو جهل بالنفس الإنسانية، وحاجاتها، والبعد الإجتماعي لها، ووضع الحلول لمشاكلها، وسواء كان المنشأ هذا أو ذاك فمرجعه إلى الجهل في حقيقة الديانة المسيحية نفسها، وهذا ما يحتاج إلى بعض التوضيح، فنقول:

إن الإسلام قد نظر إلى كل من المرأة والرجل نظرة واقعية تتوافق مع ما تقتضيه الفطرة البشرية، ذلك أن ميزان تحديد إنسانية الإنسان هو بمقدار خضوعه لسلطان العقل، وتحرره من أسر وحكم وسيطرة الشهوات البهيمية فيه، دون أن ينتهي الأمر إلى كبتها أو إذابتها، وإنما هو يسعى إلى تنظيمها وتصحيح مسارها لتكون في خدمة النوع الإنساني بشكل عام، ذلك أن كبت المشاعر والأحاسيس، يؤدي في نهاية المطاف إلى انفجارها، مما يكون عامل هدم في جسد الإنسانية، بدل من أن يكون عنصر كمال

لجوهرها، وأساساً لبناء كيانها، مؤسساً لبقاء النسل الطاهر، والبعيد عن الرذيلة.

ولهذا حرص القرآن الكريم على ذكر المساواة بين الذكر والأنثى في الأثر العملي المترتب على عمل كل منهما، فلم يجعل لأحدهما فضلاً إلا بمقدار ما يكون عمله مقرباً من الله تعالى، ومؤدياً إلى تكامل المرء في درجات الإنسانية، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً..﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ..﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾[٣].

إلا أن هذه المساواة المذكورة، لابد أن يلحظ فيها جميع الخصائص التي يتمتع بها كل منهما، بحيث يجعل لكل فريق ما يتناسب مع خصائصه الشخصية والنوعية، بحيث تكون محصلة الأعمال التي يقوم بها كل فريق

---

(١) القرآن الكريم، الآية ٩٧ من سورة النحل.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٤٠ من سورة غافر.

(٣) القرآن الكريم، الآية ١٩٥ من سورة آل عمران.

ونتائجها، مساوية لمحصلة أعمال الفريق الآخر ونتائجها.

وهذا بخلاف ما إذا كان الملحوظ في المساواة المزعومة محض الناحية المقدارية في نفس العمل المطلوب من كل منهما، فإنه في هذه الحالة ينطوي على كثير من الظلم والحيف على أحدهما أو على كليهما معاً، ولتقريب الفكرة إلى الأذهان نضرب مثالاً بسيطاً: لو أن شخصاً احتاج إلى مئة دولار أمريكي مثلاً وقصد شخصين لرفع حاجته تلك، على أن يعطيه كل منهما خمسين دولاراً، وكانت قدرة أحدهما تساوي ألفاً وقدرة الآخر تساوي مئة فقط، وأعطاه كل منهما ما طلب منه، ففي هذه الحالة لا يشك عاقل في أن من وهب نصف ما يملك أفضل من الآخر، وأكثر استحقاقاً للمدح والثناء منه، مع أن كلا العطاءين متساويان من الناحية المقدارية المحضة.

**وفي هذا المقام نقول:** إن الغاية الأساسية من إنشاء المؤسسة الزوجية هي المحافظة على النسل البشري، وتربيته تربية صالحة، بحيث يمكنه تحقيق الغاية التي خلق من أجلها، وهذا ما لا يتحقق من حيث المبدأ إلا برعاية وعناية الأبوين معاً، اللذين يحتاج الطفل في اكتمال شخصيته إلى كل منهما، فيشمله بما فطره الله تعالى عليه، من كمالات يحتاج إليها الطفل في مسيرة حياته التكاملية.

والوسيلة الطبيعية لتحقيق ذلك هي الغريزة الجنسية التي لا يخلو منها موجود بشري، بل لا يخلو منها كثير من الكائنات الحية، وهذا يعني أن إشباع هذه الغريزة، ضروري لكل فرد من أفراد المجتمع ذكراً كان أو أنثى.

إن النظام الأمثل والتشريع الأصح هو الذي يكفل حق كل فرد، في تلبية طموحاته ورغباته، ضمن الدائرة القانونية التي تؤدي به إلى شاطئ الأمان، فتجنبه كثيراً من الإنحرافات والعقد النفسية، والفساد الإجتماعي وغير ذلك مما ينعكس سلباً على النوع الإنساني كله، ما لم يخضع لتنظيم يؤدي به إلى الإستقرار والطمأنينة.

فإذا أخذنا بعين الإعتبار زيادة عدد الإناث على عدد الذكور نتيجة الحروب والقتل الذي يكون غالباً من نصيب الذكور، فلا مناص من بقاء قسم من النساء غير قادرات على إشباع رغباتهن الجسدية والنفسية، من خلال الأمومة، التي تطمح لها كل أنثى، فلا محالة سوف يسيطر الإنحراف والزنا والفساد في المجتمع كله، لو لم يسمح بتعدد الزوجات، وهو ما حصل بالفعل في أعقاب الحرب الكونية حيث تظاهرت حوالي خمسون ألف إمرأة في شوارع برلين يطالبن الكنيسة بالسماح بتعدد الزوجات.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يوجد أي محذور عقلي أو عملي في أن يتزوج الرجل أكثر من امرأة، إذ إنه لا يؤدي إلى اختلاط الأنساب وضياعها وهذا واضح، فإن في ذلك إشباعاً لحاجات الجميع ذكوراً وإناثاً، سواء في ذلك الحاجات الجنسية وغريزة الأمومة والأبوة.

وهذا بخلاف السماح للأنثى بالزواج من أكثر من رجل، فإن إفضاءه إلى اختلاط الأنساب وضياعها ظاهر لا لبس فيه.

إن غاية ما فعله التشريع الإسلامي هو تنظيم هذه العلاقات وبيان

حدودها وشروطها، على نحو لا يكون فيه أي ظلم لإحدى الزوجات أو للزوج نفسه، بعد أن حدد الحق بأربع زوجات فقط.

**والظاهر**: أن هذا خلاف الأصل بدليل أن الغالبية المطلقة من المسلمين إنما يتزوجون بامرأة واحدة، والإقدام على تعدد الزوجات هو الاستثناء على القاعدة، مما يؤكد صحة ما ذكرناه، من أنه لجوء إلى ما تقتضيه الضرورة والحاجة، بحسب اختلاف العوامل المؤثرة فيه.

وهذا بحد ذاته يعد فضيلة، ونقطة إيجابية لصالح الإسلام، وضد اليهودية والمسيحية، اللتين لم يظهر فيهما أي تحديد لعدد الزوجات المسموح به، وهذا ما يحتاج إلى بعض الإيضاح:

## تعدد الزوجات في اليهودية

إن العهد القديم مليء بالشواهد الدالة على أن للرجل حق الزواج من أكثر من امرأة، ولم يحصر هذا الحق بعدد معين، ذلك أن إبراهيم «عليه السلام» قد تزوج بهاجر التي أنجبت له إسماعيل، وسارة أم إسحاق، وبعد موت سارة تزوج بامرأة اسمها قطورة، فأنجبت له ستة أولاد.

**وتزوج يعقوب من أربعة نساء هن**: ليئة، وراحيل الأختان، وخادمتاهما زلفة، وبلهة، وأنجب منهن أولاده الاثني عشر.

وأما داود فكان قد تزوج مئة امرأة، وسليمان تزوج سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية، وجدعون أحد أنبيائهم تزوج نساء كثيرات، ولم يحدد عددهن ـ ولد له منهن سبعون ولداً.

ورحيميان كانت له ثمانية عشر زوجة. ويهوباراع الكاهن كانت له زوجتان. وأبي ملك يهوذا كانت له أربعة عشر زوجة[١].

**وهذا إن دل على شيء فإنما يدل:** على أن للرجل حق الزواج بما لا يعد من النساء.

وقد ورد في العهد القديم عدد من النصوص، التي تكشف عن أن هذا التعدد من الله، من قبيل قوله:

«فقال ناثان لداود: أنت هو الرجل هكذا قال الرب إله إسرائيل، وأنقذتك من يد شاول، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا»[٢].

## تعدد الزوجات في المسيحية

لا يوجد في نصوص العهد الجديد ما يدل على منع تعدد الزوجات مطلقاً، بل إن الموجود فيه يدل على جوازه، وذلك من خلال ما أعلنه السيد المسيح «عليه السلام» من الالتزام بقوانين العهد القديم وتشريعاته، بقوله: « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، إلى أن تزول السماء لا يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الناموس».

---

(١) راجع حقوق المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى، محمود عبد الحميد محمد ص١٥٠.

(٢) صموئيل الثاني: ١٢/ ٧ـ٨.

وكذلك عندما قرأ في سفر أشعياء عند بداية إعلانه الدعوة، فقال: «واكرز بسنة الرب المقبولة»، ولا شك أن من جملة مفردات هذه السنة تعدد الزوجات.

بل إن بولس الرسول نفسه قد حدد الزوجة الواحدة للأساقفة فقط، حيث قال:

«إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهي عملاً صالحاً، فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة»[1].

**ومن الظاهر**: أن تقييد الزواج بواحدة لمن أراد الأسقفية يعني: أنه مسموح لغير الأسقف الزواج بأكثر، بل يمكن القول: إن وصيته هذه كاشفة عن أن التعدد كان منتشراً بين المسيحيين، كما كان الحال كذلك عند اليهود، فاحتاج إلى هذا التحديد، ولو لم يكن كذلك لما كان لكلامه أي معنى مفهوم.

**هذا**.. مع أن تشريع بولس لا يعني تشريع السيد المسيح «عليه السلام»، بل ولا يرتبط به، فقد تقدم الحديث عن أنه لم ير السيد المسيح «عليه السلام» في حياته، وصرح بأنه لم يأخذ الإنجيل الذي يبشر به من أحد من التلاميذ، الذين عايشوا دعوة السيد المسيح «عليه السلام» وعرفوها حق المعرفة.

---

(١) تيموثاوس الأولى ٣/ ١ ـ ٢.

ولازم ذلك أنه لا يوجد أي نص، ورد عن السيد المسيح «عليه السلام» يدل على حصر الزوجة بواحدة حتى للأساقفة، إذ المفروض: أن الديانة تؤخذ معالمها وأحكامها من السيد المسيح «عليه السلام» لا من بولس، وهذا ظاهر.

بل إن بعض الطوائف المسيحية الموجودة فعلاً في أمريكا تقول: بأن من يريد أن يكون مسيحياً مخلصاً يجب أن يكون متزوجاً من عدة نساء.

وطائفة أخرى في ألمانيا كانت ترى ضرورة تعدد الزوجات.

ونقل زكي نجيب محمود في كتابه **«أيام في أمريكا»** عن أحد أتباع طائفة المورمون ـ وهي طائفة مسيحية أسسها يوسف سمث سنة ١٨٣٠م. ـ عندما سئل عن زوجاته الخمس، فقيل له هل تحبهن جميعاً؟!

**فأجاب قائلاً:** لقد سمعت هذا السؤال مراراً، كأنه لغز لا حل له، وجوابي دائماً على هذا السؤال هو الآتي: هل يمكن لرجل أن يحب خمسه من أبنائه دفعة واحدة؟

وهل يمكن أن يحب خمسة من أصدقائه دفعة واحدة؟

وهل يمكن أن يحب خمسة من إخوته دفعة واحدة؟

أروني رجلاً واحداً ممن يدّعون الإلتزام بنظام الزوجة الواحدة لا تكون له امرأة يبادلها الحب وتبادله.

**ثم قال:** ونحن لا نتعشق سراً، إننا لا نحب حباً يلفه العار، بل نحب جهراً وعلانية حباً يزدان بالشرف، ليس بيننا المرأة التي تحمل جنينها في

خفاء من القانون، ثم تضع حملها إجهاضاً، فنسائنا جميعاً يحملن الأجنة من أزواج، ويلدنهم أطفالاً ذوي نمو كامل»[١].

بل إن بعض علماء المسيحية أنفسهم أقروا بأن نظام الزوجة الواحدة طارئ على المسيحية، ولا يرتبط بها في عصورها الأولى، فقد وضعته الكنيسة في فترة لاحقة، بل ذهب بعضهم إلى أن فرضه وإقراره من قبل المسيحيين الأوروبيين يرتبط بأهداف إستعمارية وليس لأسباب دينية[٢].

وقد قرر الأمبراطور فالنتيان الذي ولي الحكم في أواخر القرن الرابع الميلادي: أن الإقتصار على الزوجة الواحدة إنما هو من آثار الوثنية الرومانية، ولذلك أصدر أمراً بجواز الجمع بين أكثر من زوجة قائلاً: إن المسيحية لم تمنع ذلك، وهو ما تبناه في ما بعد لوثر زعيم الطائفة البروتستانتية، حيث قرر: بأن التعدد أمر لم يحرمه الرب، وقال: إن إبراهيم نفسه الذي كان مسيحياً كاملاً كانت له زوجتان، وعقب لوثر على ذلك قائلاً: إن التعدد أفضل قطعاً من الطلاق[٣].

---

(١) راجع حقوق المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى ص١٥٢ ـ ١٥٤.

(٢) نفس المرجع السابق ص١٥٥، وقد ذكر أمثلة عديدة عن الأباطرة وكبار القوم، الذين تزوجوا بأكثر من إمرأة واحدة بإجازة الكنيسة نفسها في القرون المسيحية الوسطى.

(٣) حقوق المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى ص ١٥٤ ـ ١٥٥.

فهل يلتزم هذا الكاهن المحترم بأن المسيحية كدين وتشريع سماوي، وبمعزل عن قرارات الكنيسة، لم تحترم إنسانية المرأة؟

بل إن الكنيسة نفسها قد أصدرت قراراً، بعد حرب الثلاثين سنة التي دارت رحاها في أوروبا وحصدت الكثير من القتلى وكلهم من المسيحيين، أصدرت قراراً يجيز للرجل أن يتزوج من امرأتين للتعويض عن قتلى الحرب، وعلل القرار: «بأن الإمبراطورية المقدسة تقتضي تعويض السكان من الذكور الذين لقوا حتفهم بالسيف أو المرض أو الجوع»[١].

## مكانة المرأة في المسيحية

وبهذه المناسبة أرى من المفيد إجراء مقارنة سريعة بين وضع المرأة في الإسلام وبين وضعها في المسيحية، وقد تقدم بعض الحديث عنها في الإسلام، ونضيف هنا: أن أساس العلاقة الزوجية قائم في الإسلام على المودة والرحمة، وأن نتيجة العلاقة هو تحقيق السكينة والإستقرار، سواء على المستوى النفسي أو الأُسري أو الإجتماعي أو غيرها من المستويات، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

---

(١) نفس المصدر السابق ص ١٥٦.

(٢) القرآن الكريم، الآية ٢١ من سورة الروم.

فالمرأة في الإسلام تتمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بها الرجل، غاية الأمر أن الإسلام قد جعل لكل منهما أحكاماً وتشريعات تتناسب وظيفياً مع التركيب العضوي والنفسي لهما، دون أن يشكل عائقاً بوجهها يحرمها من أي عمل آخر، في ما إذا كانت تملك القدرة على أدائه، ولم يؤثر سلباً على كيانية المجتمع وانتظام الحياة فيه.

وهذا بخلاف ما عليه المرأة في المسيحية التي جعلت من المرأة مخلوقاً ثانوياً لخدمة الرجل ـ استناداً إلى بعض ما ورد في الكتاب المقدس بعهديه ـ حتى صارت المرأة جزءاً من متاع الرجل، يتصرف فيها كما يحلو له، ولا يحق لها أن تملك أو تعمل أي شيء دون رأيه وإذنه.

وما نراه من تصدي النساء لبعض الأعمال في المجتمعات الغربية المسيحية، ليس ناشئاً من وضع تشريع ديني، بل نتج عن تشريعات بشرية، فرضت نفسها بعد عزل الكنيسة عن التصدي للأمور المدنية والسياسية العامة في أعقاب الثورة الفرنسية.

**فقد ورد في الكتاب المقدس**: أن المرأة أساس الشر والخطيئة في هذا العالم، فهي التي أكلت من شجرة الجنة الممنوعة، وأطعمت زوجها، فكان عقابها: أن يكون الرجل سيدها، وتلد أولادها بالتعب الشديد، والكثير من الوجع الأليم[١].

---

(١) سفر التكوين: ٣.

ووصل الحال بها أن تكون أسوأ من الموت، قال كاتب سفر الجامعة: «درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمر من الموت، المرأة التي هي شِباك، وقلبها أشراك ويداها قيود. الصالح قدام الله ينجو منها. أما الخاطئ فيؤخذ بها»[١].

بل إن مجرد كون الإنسان من نسل المرأة مانع له من التدرج في مدارج الكمال، إذ: «من هو الإنسان حتى يزكو ومولود المرأة حتى يتبرر»؟![٢].

وأما في تعاليم بولس الرسول فيظهر تدني المرأة في إنسانيتها وفي حقوقها عن الرجل بشكل واضح.

**يقول بولس:** «أيها النساء، إخضعن لرجالكن كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة. وهو مخلص الجسد، لكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء»[٣].

**ويقول أيضا:** «فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل، لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من

---

(١) سفر الجامعة: ٧/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سفر أيوب: ١٥/ ١٤.

(٣) الرسالة إلى أفسس٥/ ٢٢ ـ ٢٣.

الرجل، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل»[١].

ويتحدث بولس عن الخطيئة الأصلية، وأن السبب فيها هي المرأة، وأما الرجل فبريء، فيقول: «لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع، ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبِل أولاً ثم حواء، وآدم لم يغوَ لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي»[٢].

ولكن هذا التعلم ليس متاحاً للمرأة على كل حال، إذ لا يحق لها حتى الكلام في الكنائس والأمكنة العامة، فإذا أرادت أن تتعلم شيئاً ففي البيت وبواسطة زوجها، فيقول:

«لتصمت نساؤكم في الكنائس؛ لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً، ولكن إن كنَّ يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت؛ لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم بالكنيسة»[٣].

كثيرة هي النصوص التي يتحدث فيها بولس عن أن المرأة أدنى من الرجل، وسنكتفي بهذا المقدار من كلماته، لنذكر بعض كلمات آباء الكنيسة، في مختلف مراحل التاريخ، لنرى مكانة المرأة في الذهن المسيحي عموماً من

---

(١) كورنتوس الأولى: ١١/ ٧ ـ ٩.

(٢) تيموثاوس الأولى: ٢/ ١١ ـ ١٤.

(٣) كورنتوس الأولى: ١٤/ ٣٤ ـ ٣٥.

خلال كلمات اللاهوتيين والآباء.

**قال كليمنت السكندري (١٥٠ ـ ٢٢٢م):**

«لا شيء مخز أو شائن عند الرجل الذي وهبه الله العقل. لكن المسألة ليست على هذا النحو بالنسبة للمرأة التي تجلب الخزي والعار، حتى عندما تفكر في طبيعتها، وماذا عساها أن تكون».

**وقال ترتوليان (١٦٠ ـ ٢٣٠م):**

«أنتِ بوابة الشيطان.. أكلت من الشجرة المحرمة، وأغويت الرجل الذي لم يستطع الشيطان غوايته على نحو مباشر.. أنت، أيتها المرأة حطمت بسهولة صورة الله التي هي الرجل».

**وقال القديس جيروم (٣٤٥ ـ ٤٢٠م):**

«جسد الأنثى ليس شيئاً جذاباً، بل هو موضوع قذر، وإنجاب الأطفال ليس مدعاة للبهجة والفرح، بل هو علامة الإنهيار والتدهور».

**وقال يوحنا فم الذهب (٣٤٥ ـ ٤٠٧م):**

«كم عانينا كثيراً من عدد لا حصر له من الشرور والآلام بسبب تمسكنا بالمرأة، نعود ونستسلم لرغبات جامحة ثم نعاني القلق أياماً وليالي، إن جمال المرأة لهو الشرك الأعظم».

**ويقول أيضاً:**

«من بين وحوش البرية المفترسة يستحيل عليك أن تجد حيواناً أشد أذى من المرأة».

القديس أوغسطين (٣٥٤ ـ ٤٣٠م):

وفي معرض تعليقته على كلام بولس الذي يوجب على المرأة تغطية رأسها دون الرجل وبيان سبب ذلك، يقول في كتاب عنوانه (في التثليث):

«إن الحل في رأيي يكمن في ما سبق أن ذكرته أثناء مناقشتي لطبيعة الروح البشرية، وهو أن المرأة مع زوجها هما صورة الله، وأنهما جوهر واحد يشكل الصورة، أما عندما يصف الكتاب المقدس امرأة بأنها المساعد والمعين للرجل؛ فإنه في هذه الحالة يحدد الوظائف التي تخصها وحدها، ومن ثم فهي هنا ليست على صورة الله في حين أن الرجل بذاته هو صورة الله سواء أكان بمفرده أم مع المرأة».

وقال توما الأكويني (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م):

«الرجل أعلى من المرأة، كما أن السيد المسيح أعلى من الرجل. ومن الأمور الثابتة التي لا يمكن أن تتغير: أن مصير المرأة في الحياة خاضع لتأثير الرجل، ولا سلطان لها على سيدها».

ويقول أيضاً:

« عصى الإنسان الله بسبب خطأ حواء في الحكم على ما هو خير، وهو يحمل الآن في كل جيل وزر هذه الخطيئة الأولى»[1].

---

(١) قد نقلت أقوال الآباء ومفكري المسيحية من كتاب (الفيلسوف المسيحي والمرأة)، ويمكن الرجوع إليه لمن أراد التوسع والإحاطة بنظرتهم إلى المرأة.

## المرأة سلعة بيد الرجل

وفي مقام سلب المرأة كل شخصيتها، وأنها ملك للرجل، يقول يوحنا فم الذهب (كريسوستم): «ماذا تقولين أيتها المرأة؟ إنك قد أصبحت لا تملكين لذاتك بدناً، فهل يبقى لك ما تملكينه»[١].

وقد انعكست هذه النظرة الساخطة على المرأة على مجمل نواحي الحياة الإجتماعية والسياسية والقانونية في أوروبا المسيحية، وفي إنكلترا بشكل خاص، بحيث صار العبيد أفضل حالاً من المرأة، فإن بعض القوانين الخاصة بالرق تجعل باستطاعة العبد، إذا تعرض لظروف معينة من سوء الإستخدام، أن يجبر سيده قانوناً على بيعه.

ولكن مهما بلغت إساءة استخدام الزوج لزوجته مضيفاً إليها الخيانة الزوجية، فإن الزوجة في إنكلترا لا تستطيع أن تتخلص ممن يعذبها»[٢].

وإذا تملكت شيئاً ورثته من أبيها فلا تستطيع أن تتصرف بشيء منه، بل يكون ذلك كله من حق الزوج يتصرف فيه وينفقه كيف يشاء، دون أن يكون لها الحق في منعه، بل وحتى في مساءلته[٣]، ولا زالت محرومة من المشاركة في الحياة السياسية ومن حق الإنتخاب حتى عصر قريب.

---

(١) الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين ص١٣٧.

(٢) إستعباد النساء ص٧٨.

(٣) المصدر السابق ص٧٥.

والكلام حول ظلامة المرأة في المجتمعات المسيحية على العموم، مما امتلأت به بطون الكتب، وفاضت صفحات التاريخ بمآسيه، ويكفي هنا أن نذكر ما قاله الدكتور شوقي أبو خليل:

«وكبلت النصرانية المرأة في أغلال الرق، وقالت عنها:

أما تعلمن أن كل واحدة منكن حواء؟ أنتن باب الشيطان، أنتن الآكلات من الشجرة.

أفبعد المرأة هي مطية الشيطان، والعقرب الذي لا يتردد قط عن لد أي إنسان، وهي الأفعى التي تنفث السم الزعاف، وهي اللعاب الذي يسيل من فم الأفعوان»[1].

وبعدما تقدم ـ وهو أيسر اليسير من البركات المنصبَّة على المرأة في المسيحية ـ هل يصح القول: بأن المسيحية قد أولت المرأة اهتماماً واعتباراً خلافاً للإسلام الذي لم يقدم لإنسانيتها أي اعتبار؟!.

مع أن المرأة المسلمة، ومنذ فجر الإسلام، قد شاركت الرجل في شؤون الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وحتى في الحروب كان لها نصيب من المشاركة مع الرجل، وهو ما ليس خافياً على من له أدنى اطلاع على تاريخ الإسلام في مختلف محطاته وميادينه.

---

(١) الإسقاط في منهاهج المستشرقين والمبشرين ص١٣٦.

# المسيحية والتوحيد

٥ ـ قال في النقطة المرقمة بالرقم (٥): «يدعي أن المسيحية تؤمن بوحدانية الله تعالى فالأب والإبن والروح القدس هم كالشمس على سبيل المثال لا يمكن تخيلها دون الكرة الملتهبة أو نواتها أو حرارتها أو نورها.. فكل ذلك ومن دون إحداها ليست بشمس.. وهكذا الإله فهو ثلاثة أقانيم بإله واحد.. فكيف يمكن تفنيد ذلك بشكل علمي بحيث يسهل فهمه على العوام ويستحيل رده من قبل كاهن نصراني»؟

**أقول:**

لقد عالجنا موضوع التوحيد والتثليث مفصلاً في كتاب (**المسيح في الإنجيل ـ بحث في لاهوته وناسوته**)، وأثبتنا هناك أنه مضافاً إلى استحالة الإعتقاد بالتثليث بحكم العقل، فإنه مخالف لتعاليم السيد المسيح «عليه السلام» الواردة في الأناجيل نفسها، فهي عقيدة وفدت إلى المسيحية من العقائد الوثنية بفضل بولس الرسول، الذي دخل المسيحية بعد ارتفاع السيد المسيح بعدة سنوات، دون أن يراه أو يأخذ من تلاميذه الذين آمنوا به عن طريق الحس والمباشرة كما تقدمت الإشارة إليه.

**ونقول هنا، في ما يتعلق بالمثال الذي شبهت به الألوهية، حسب ما يناسب المقام، وعلى سبيل الإيجاز:**

إن نفس مثال الشمس دليل على بطلان التثليث، ذلك أن الشمس جرم مركب من الكرة والحرارة والنورية، فإذا انتفى أي جزء منها انتفت

الذات ـ حسب ما ادعى هذا الكاهن ـ ولا إشكال في أن الجزء مقدم على الكل، والمسيحيون لا يدَّعون أن أجزاء الذات الإلهية أزلية في تحققها، بل يقولون: أن الله «**الأب**» مغاير لله «**الإبن**» وهما مغايران «**للروح القدس**».

**وبناء عليه**: فإن لازم كلامه انتفاء الذات قبل التجسد، وبطلان الألوهية، إذ ما دام الابن ركناً في هذه الذات، فخلو الوجود منها في أي آن من الآنات يعني: خلو الكون من الإله المدبر، لأن انتفاء الجزء يعني انتفاء الذات كلها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهكذا تنقلب المسيحية ـ استناداً إلى هذا الإستدلال ـ من كونها ديناً يؤمن بالإله، إلى كونها عقيدة إلحادية لا ترتبط بالسماء، ولا نظن أن هذا الكاهن المحترم يقبل بهذه النتيجة.

كما أن استغناء الذات الإلهية عن هذه الأقانيم في أي آن من الآنات يعني: عدم كونها مقومة للذات الإلهية، وبالتالي: يكون الإعتقاد بأنه لابد للذات الإلهية من أقانيم تقومها وتحقق ألوهيتها كلاماً فارغاً من أي معنى.

**هذا**.. مع أنهم يرون أن السيد المسيح «عليه السلام» الذي يشكل الأقنوم الثاني من أقانيم الذات الإلهية ـ أي الابن ـ إله كامل وإنسان كامل، وجانب الناسوت لا يتحقق فيه إلا إذا تركب من الروح والجسم، ولا شك أن جسمه مخلوق وليس أزلياً، فانتفاء الجسمية عنه يعني انتفاء إنسانيته، وبالتالي انتفاء الأقنوم الثاني، وإذا انتفى أحد الأقانيم ـ حسب دعوى الكاهن ـ انتفت الذات الإلهية كلها لتوقف تحقق الكل على تحقق الجزء، **وهذا معناه**: احتياج الذات الإلهية في ثبوتها وتحققها على وجود مخلوقها،

وهو مستحيل بحكم العقل.

**وهنا يتوجه السؤال التالي، وهو**: هل الذات الإلهية كانت موجودة وفاعلة في الكون قبل زمان السيد المسيح أم لا؟

**الثاني**: يستلزم الكفر، وإنكار وجود الله أصلاً. فضلاً عن الواحد والمتعدد.

**وأما الاول، فمعناه**: أن الذات الإلهية مستغنية عن أقنوم الابن في وجودها، وهو: نفي الطبيعة الإلهية عن السيد المسيح «عليه السلام» إذ ما دام الله فاعلاً بدونه، فلا يكون جزءاً من مقومات الذات المقدسة، وإلا فلا يمكن أن يتحقق كون ولا وجود، لعدم تمامية العلة في نفسها، وهو باطل بالضرورة.

**وهكذا يظهر**: أن تقريب فكرة الأقانيم في الذات الإلهية الواحدة بتوسط مثال الشمس في غير محله، بل لا ينبغي أن يصدر عن ذي مسكة ولب، لو كانوا يعقلون.

# كلمة أخيرة

لم يكن بودنا أن نتعرض إلى هذه المسائل بهذا النحو، لأن الظرف الراهن يحتاج فيه كل من المسيحيين والمسلمين إلى العمل على بث المثل، وإحياء القيم والملكات الإنسانية لدى الناس، في عصر سيطرت فيه قيم المادة، فابتعد الناس عن مكارم الأخلاق، وأخذت المصالح المادية، والتحلل من كل ما يمت إلى الإنسانية بصلة، طريقها إلى حياة الناس، لتكون بديلاً عن كل ما يرتبط بالسماء.

إننا نرى أن الحوار الإسلامي المسيحي يجب أن لا يبنى على التحدي والتبكيت، بل يحتاج إلى إنشاء جبهة عريضة يمكنها أن تقف بوجه موجات الإلحاد والمادية العاتية وأعصارها.

فعلى الرغم مما تطالعنا به الفضائيات والنشرات الدعائية والتحريضية ضد الإسلام والمسلمين، حتى باتت قوتاً يومياً لهؤلاء الناس، نصر على محاصرة هذه المشكلات ومعالجتها، إلا أن ما دعانا إلى التصدي لهذه الإثارات هو أن هذه الأسئلة قد وجهت لنا بشكل مباشر، الأمر الذي لم يبقِ لنا عذراً في السكوت عنها، فأجبنا عنها على غير رغبة منا، لبيان الحق فيما يراد التشكيك به من أمور الدين ونظام القيم.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الخطأ والزلل، وأن يعيننا على إصلاح شأن الإنسانية، وأن نعمل جميعاً على الحث الديني بشكل هادئ ورصين، لنتمكن من الأخذ بيد هذا الإنسان إلى شاطئ الأمان.

**والحمد لله رب العالمين..**

# المحتويات

# كتب مطبوعة للمؤلف

- قانا الجليل .. المجزرة ـ الخطيئة (اصدار المركز الإسلامي للدراسات).
- صلب المسيح في الإنجيل (اصدار المركز الإسلامي للدراسات).
- المسيح في الإنجيل (اصدار دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر).
- وعد التوراة لمن؟ (اصدار المركز الإسلامي للدراسات).
- قراءة في سفر الرؤيا (دار أمجاد ودار المحجة البيضاء).
- مكانة القدس وحق رعايتها في الأديان السماوية (دار أمجاد ودار المحجة البيضاء).
- نبوءات ووقائع «دراسة في نبوءات إنجيل متى» (اصدار دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر).
- شبهات كاهن (اصدار دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر).
- مساءلات دينية (قيد الطبع).
- تحفة الدارسين (قيد الطبع).